كبير

1182
١١٨٢

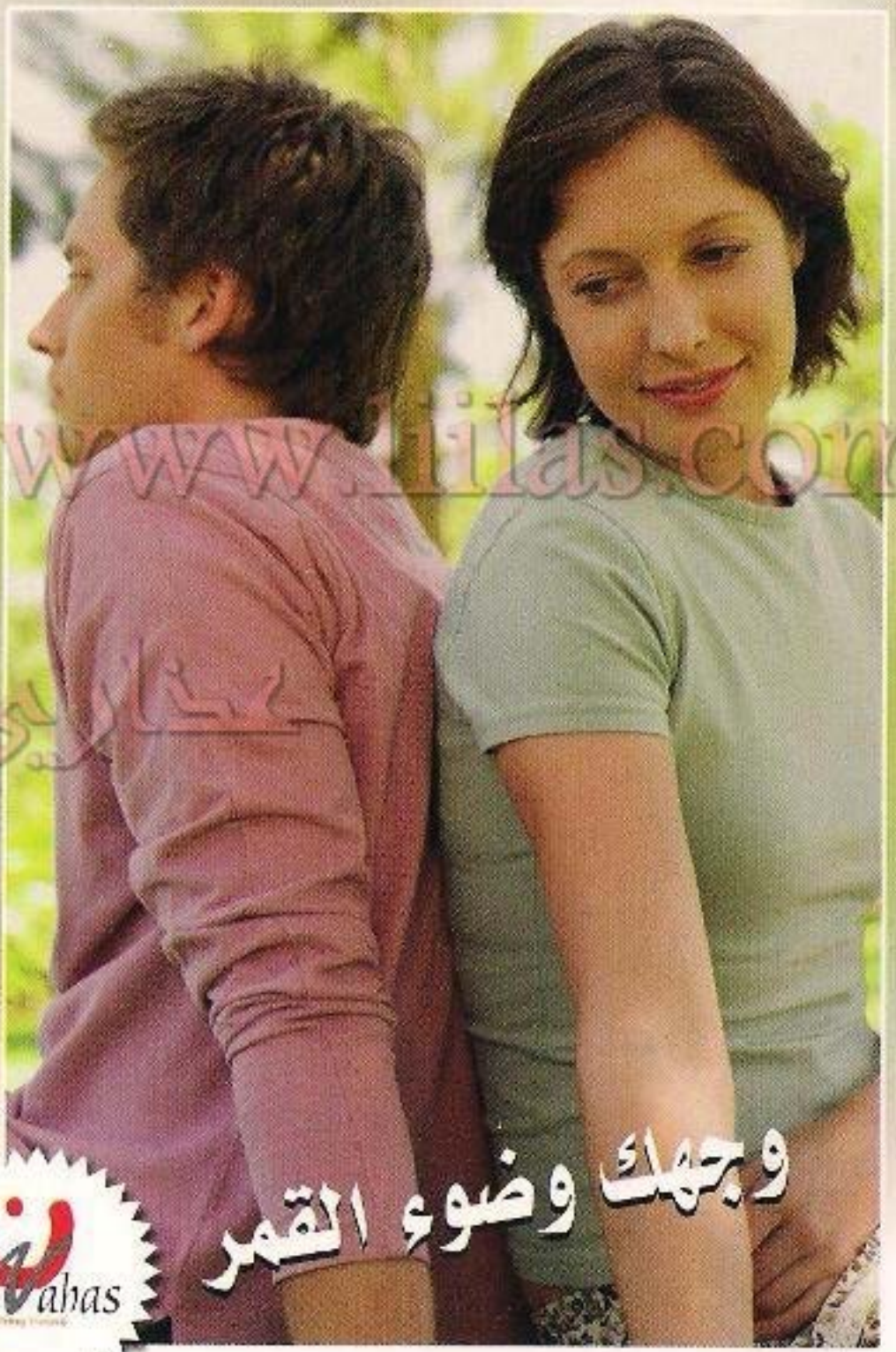

وجهك وضوء القمر

www.liilas.com

Nahas
صادر عن دار م. النحاس

وجهك وضوء القمر

الرجال المثيرون الخطرون لا يصلحون أزواجاً. لكن كذلك النساء الفاتنات. لذا، راح زواج بترا من رجل الأعمال النيوزيلندي كين فلمينغ ينهار بسرعة.

وخلال السنوات الثماني التي غاب فيها كين، كبرت بترا، وقد خبأت خيبتها وخسارتها خلف مظهر براق زائف. لكن هذا المظهر للسلام والطمأنينة وعدم الاكتراث، سرعان ما راح ينهار ليظهر طبيعتها الحقيقية، لتصبح السيدة القوية امرأة عاطفية جداً.

www.liilas.com

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١،٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار - مصر ٧ جنيه

52-87000-34707-5

وجهك وضوء القمر

استيقظت من أحلامها على صوت كين العميق الهادئ: «كم ستبلغين من العمر، بعد هذه الحفلة؟»

تنهدت بترا وقالت: «ثمانية عشر عاماً.»

بدا كين في الثلاثين وقد رأى الكثير وخبر الكثير، وهذا ماتنبأت به عيناه الباردتان.

استرقت نظرة لعينيه. كان يبتسم، وقد تقوس فمه بوضوح بينما تابع التحديق بها وأضاف: «ألا زلت في المدرسة؟»

اجابت: «كلا، تركت السنة الفائتة.»

قال: «وماذا تفعلين في الوقت الحاضر؟»

قالت وقد تجهم وجهها: «عمتي تريدين ان ابقى في المنزل هذه السنة.»

قال: «وماذا تريدين انت؟»

هزت كتفيها بلا مبالاة وقالت محاولة إخفاء مشاعرها: «اظن اني سأفعل ما تريده. فعمتي وعمي لورنس كانا طيبين جدا معي.»

www.liilas.com

الفصل الأول

التقت به في عيد ميلادها الثامن عشر، وكان اللقاء ينضح بالعاطفة والرومانسية. كانت بترا ستانهوب تقف على الجسر الصغير قرب البحيرة الملأى بأزهار الزنبق ذات ليلة صيفية مقمرة، بحيث بدا شعرها الأشقر الغامق فضيا بلون القمر، وكانت بلوزتها الزرقاء الشيفون تعكس لون عينيها الزرقاوتين. بدت كحورية من حوريات البحر في وقفتها وقد امسكت حديد الحاجز بيدها. وقد غطى ثوبها تحافتها وبدت أكثر امتلاء مما هي في الواقع.

عندما كانت تستعد للحفلة اختار لها مصفف الشعر الخاص لعمتها تسريحة جعلتها تبدو أكبر سنا مما هي عليه في الواقع. فقد رفع شعرها مع إبقاء عدة خصلات تتدلى لما تحت خديها، لترتاح على كتفيها. مما أبرز هدية عمتها وعمها، وهي عبارة عن عقد من اللؤلؤ الثمين.

وبالرغم من تحفظها الطبيعي، كان الثوب الأزرق رائعا. لقد حاولت عمتها كايث إظهارها بمظهر المرأة الناضجة بدل ذلك المظهر الطفولي، وإبراز جمالها أمام المدعوين، بخلاف ما كانت عليه منذ

www.liilas.com

عشر سنوات حين احضرتها الى منزلها. اختارت لها ثياب على هذا الأساس. وهذه المرة صدق حدسها وغريزتها، فقد ناسب الثوب بترا، وأظهر جمالها وأنوثتها المتفتحة.

تقبلت بترا كل ذلك التغيير مثلما تقبلت ما ورثته عن والدتها، العينين الكبيرتين الواسعتين، والفم الجميل. لكنها لم تكن تعتبر جذابة. والفتيان من عمرها، كانوا يفضلون فتيات اكثر امتلاء وأكثر جرأة. بينما كانت تكتفي بمراقبة ما يجري حولها بعينيها اللتين يتغير لونهما باستمرار. جزء من هذا التحفظ أخذته عن عمتها وأسلوبها المتحفظ جداً في التعامل مع الآخرين، والجزء الآخر من أمها التي مرت بأيام سيئة مما جعلها تنغمس في السهر لتخفي وتدفن مشاكلها. وهذا ما سبب اهمالها لابنتها فأخذتها عمتها لتربيها الى ان توفيت مبكراً.

لكن الليلة ابعدت كل مشاكلها عن ذهنها، وركزت على الحفلة. شعرت انها راشدة بالفعل. والفتيان الذين عرفتهم لسنوات، فوجئوا بمظهرها الأنثوي الجديد. وراحوا يعاملونها معاملة خاصة مما اسعدها وأثار مشاعرها قليلاً. حتى زوج عمتها الذي كان يبدو وكأنه يعيش في عالم آخر، عالم من الواقعية والإنشغال، بدا اكثر مرحاً وانفتاحاً.

وهو يستقبل احد الضيوف ويقوم بمهمة تعريفه الى باقي المدعوين.

قال بمرح ظاهر: «ها انت يا عزيزتي. انت تشعرين بالبرد، أليس كذلك؟ ها هو السيد كين فليمنغ الذي يعمل لصالح جيم فوغان. كين هذه ابنة أخ زوجتي بترا ستانهوب. ونحن نعتبرها كإبنتنا. لقد عاشت معنا معظم حياتها.»

التفتت بترا ورأت الرجل الواقف خلفها يبتسم لها. بدا مغروراً بحديه الناتئين، وفمه الذي يلويه وكأنه يزدري الناس جميعاً.

مدت يدها لتصافحه، وراودها شعور بالضعف وهي تشعر بقبضة كفه القوية. قالت: «كيف حالك؟» وهي تجاهد لإخفاء حياتها تحت مظهر اللامبالاة. شعرت بالإرتياح عندما افلت يدها.

أجابها وقد بدا وكأنه يضحك بصوت عميق أجش: «كيف حالك يا آنسة؟»

علق العم لورنس بقوله: «انت باردة، تعالي الى الداخل، عمتك قلقة وتتساءل أين إنت.»

اجابت: «الجو في الداخل حار جداً.» لكن هل بدا صوتها مرتجفاً فعلاً كما اعتقدت؟

اجاب العم لورنس: «هذا كله بسبب الرقص الذي يتضمن الكثير من القفز والدوران. يا للرقص السخيف. اين أيام الفالس القديمة! هيا لندخل.»

www.liilas.com

بينما كانت تدخل معهما مطيعة راحت تتساءل: لماذا اختارها العم لورنس ليعرفها على كين فليمنغ، بالطبع هي سمعت عنه. وما سمعته لم يكن مشجعا. كان كين انتهازيا من الدرجة الأولى، وحقق من خلال عمله مع مؤسسة فوغان المصرفية، مركزا ممتازا وقوة لا يستهان بها. وقد نعته بنعوت قبيحة جدا، واعتبره عديم اللياقة والذوق. ولقد اقلقها ما قال العم لورنس وتساءلت ما اذا كانت المؤسسة التي ورثها عن أبيه وهي شركة لمصنع للمفروشات يعاني من مصاعب مالية بعد انتقال الإدارة للمالك الجديد. لورنس ستانهوب.

كان العم لورنس كثير الشكوى مؤخرا، بسبب سياسات الحكومة المتبعة التي سمحت بدخول البضائع الرخيصة وبتخفيضها الرسوم الجمركية عليها، بحيث بدأت الصناعة المحلية تعاني مصاعب كبيرة من المنافسة غير العادلة، وقد تعبت مما كان يردده من ان الوريث الجديد سوف يحافظ على الشركة، وأنه يعرف كيف يتعامل مع الساسة الجدد. وكونها وريثة العم لورنس الوحيدة لم تشأ ان تظهر أي مطامع بها، لذا سكتت ولم ترد على انتقاداته. لكنها ضمنا، كانت قلقة. فهي مدينة له ولعمتها بكل شيء، بالمنزل الذي تسكن فيه، وبسعادتها، وكل الأمور الأخرى التي احاطوها بها...

بينما كانت تسير بينهما عائدة الى قاعة الإحتفال، لم يكن العم لورنس هو من تفكر فيه، بل الشاب الممتلىء حيوية والذي يسير الى جانبها. كانت تتأمله بطرف عينها.

مقارنة بغيرها من البنات كانت بترا تعتبر بسيطة المظهر. فقد كان العم لورنس والعمة شديدي التحفظ فيما يختص بها. وهي كانت تحبهما وتعترف بجميلهما عليها وتطيعهما دون نقاش، بهدوء وباستسلام عجيبين. لكن الآن بدأت الدماء تغلي في عروقها.

راحت تتساءل وتحاول إخماد ثورة في داخلها على كل ما كانت تفرضه عليها عمتها من قواعد وقوانين.

عندما وصلت الى قاعة الاحتفال نظرت الى فليمنغ، وشعرت بالضياع وهي تتأمل عينيه الوقادتين الباردتين الساحرتين.

شعرت بحرارة في وجنتيها، ولم تستطع ان تبعد نظرها عنه. شعرت بنفسها مقيدة بنظرة عينيه، وكأنها تنتقل من عالم الواقع الى عالم آخر خيالي.

بدأت الفرقة بالعزف، سألها كين: «اتسمحين لي بهذه الرقصة يا بترا؟»

ابتسمت له واستسلمت لذراعيه يقودانها بمهارة

www.liilas.com

الى حلبة الرقص. كان اطول منها بشكل لافت. يتمتع بكتفين عريضتين، وجسم رياضي، ومع ذلك انسجمت معه.

تمايلا على الحلبة بشكل رائع. كان كين راقصاً ماهرا جدا، وساعده في ذلك قوامه الرياضي. بدا وكأنه لا يريد الكلام، بل ركز على حركات وإيقاع الرقص. كانت سعيدة وهي بين ذراعيه، لكنها قررت ألا تغمض عينيها لئلا تفضح نفسها واكتفت بالتحديق بسترته وثيابه. يبدو انه اختار خياطا ماهرا جدا، إذ كانت بذلته تناسبه تماما. وتعلمت بترا كيف تتعرف على الخياطة الجيدة، مثلما تعلمت كيف تتصرف بلباقة في جميع المناسبات. والفضل يعود لتربية عمتها الصارمة التي علمتها كيف تكون سيدة منزل وسيدة مجتمع من الطراز الأول. مع ان الكثير مما علمتها إياه أصبح يعتبر من المفاهيم القديمة وتهزأ منه الفتيات العصريات. لكن بعكس أمها التي كانت لا تدري شيئا من أمور التدبير المنزلي، ولا تبدو كسيدة مهتمة بشؤون أسرتها.

استيقظت من أحلامها على صوت كين العميق الهادئ: «كم ستبلغين من العمر، بعد هذه الحفلة؟»

تنهدت بترا وقالت: «ثمانية عشر عاماً.»

بدا كين في الثلاثين وقد رأى الكثير وخبر الكثير، وهذا ماتنبئها به عيناه الباردتان. استرقت نظرة لعينيه. كان يبتسم، وقد تقوس فمه بوضوح بينما تابع التحديق بها وأضاف: «ألا زلت في المدرسة؟»

اجابت: «كلا، تركت السنة الفائتة.»

قال: «وماذا تفعلين في الوقت الحاضر؟»

قالت وقد تجهم وجهها: «عمتي تريدين ان ابقى في المنزل هذه السنة.»

قال: «وماذا تريدين انت؟»

هزت كتفيها بلا مبالاة وقالت محاولة إخفاء مشاعرها: «اظن اني سأفعل ما تريده. فعمتي وعمي لورنس كانا طيبين جدا معي.»

قال: «نعم، انت يتيمة، أليس كذلك؟»

قالت: «إلى حد ما. أمي لا تزال على قيد الحياة.»

قال: «وهل هي هنا الليلة؟»

اجابت: «كلا.»

كان من اللباقة بحيث لم يحاول الغوص أكثر في حياتها الخاصة. وكانت ممتنة لأنه لم يفعل.

اصطدم بهما ثنائي، واعتذر كل منهما للآخر ضاحكا مبتسما.

لاحظت بترا ان الشابة التي كان يراقصها الرجل الآخر، تحدق بكين بنظرات مستفهمة طويلة. بينما

www.liilas.com

رد كين بابتسامته الباردة ونظرته المتعالية.
بدا انه يعرف جان بولارد، مع انهما لم يتبادلا الكلام. وانتابتها موجة عاطفية قوية، حاولت جهدها ان تخفيها.
سألها كين، وقد بدا مهتماً:«ما الأمر؟»
لم يكن بإمكانها ان تفصح عن مكنونات مشاعرها، كانت الغيرة ظاهرة. ابتسمت وتناست أمر جان ونسيت ان هذه حفلة عيد ميلادها. بقيت اسيرة ابتسامة كين، والإنجذاب نحو شخصيته بما يجافي العقل والمنطق. ولو كانت تلك الابتسامة لها، لكانت كالأميرة في القصص الخيالية، بحيث تترك وراءها كل ما أحبته وكل ما امتلكته واعتادت عليه لتلحق به الى أقاصي الأرض.
قال بصوت هادىء:«بترا، اتمنى لو كنت أكبر بخمس سنوات.»
عرفت ما يقصده، وعرفت انه محق. فالانجذاب القوي الذي شعرت به تجاهه لن يقودها الى أي مكان. لكن الثروة لمعت في عينيها وأحجبت مشاعرها وقلبها.
قال:«أوه لا تبدين كأميرة مطيعة.» بدا وكأنه يقرأ أفكارها كذلك.
احمر وجهها خجلاً وبدت عاجزة عن الرد، نظرت بعيداً فرأت عمها لورنس يبتسم لها من بعيد.

وبدا لها الأمر غريباً بعض الشيء. فبدل ان يظهر غضبه وضيقه، كان يبتسم لها مشجعاً.
قالت:«لست ثائرة، لكن لا احب ان ينعتني احد أني طيعة، فذلك يبدو علامة ضعف.»
علت ضحكته من جوابها وشعرت بالحاجة للمسه، ولمعرفة ما إذا كانت بشرته التي لوحتها الشمس ناعمة كما يبدو. كورت اصابعها لتمنع يدها من الإمتداد إليه. وعلت حمرة الخجل خديها مجددا.
قال:«ايتها الأميرة، لا اعتقد انك ضعيفة، اعتقد انك خطيرة.»
بالتأكيد كان يسخر منها. نظرت إليه، وقد لوى فمه بابتسامة ساخرة، لكن لم يكن هناك أي علامة سخرية على ملامحه التي بدت قاسية جدا.
عندها أدركت ان الانجذاب لم يكن من ناحيتها فقط، انه يحاول مغالبة شعوره ايضا نظرا لصغر سنها.
قالت بما يشبه الهمس:«لا اعتقد ان فتاة في الثامنة عشر من عمرها يمكن ان تكون خطيرة.»
قال:«كل فتاة لها جوانب خطرة في شخصيتها.»
رمشت بعينيها وقالت:«هذه بالكاد مجاملة.»
قال:«انها مجاملة بالتأكيد، ويمكنك سؤال احد آخر. ولا تنظري إلي بعينيك الواسعتين هكذا، فأنت تنسيني ما افعله. ولن تسري إذا اوقعتك ارضا.»

www.liilas.com

ضحكت، فهو يتحرك برشاقة يحسد عليها؛ ردت بصوت لم يبد كصوتها: «لا اعتقد ان شيئاً سيجعلك تفقد اتزانك، فأنت تتحرك بسهولة ورشاقة ملفتة.»

رفع احد حاجبيه مستنكراً وقال: «انت لا تصدقين ما قلته. أي رجل لا يحاذر خطواته يكبو كالجواد الجامح.»

توقفت الموسيقى عن العزف، وتركته يقودها الى خارج حلبة الرقص. لن تراه مجدداً، سوف يذهب ولن يعود لانه يعتقد انها لا تزال صغيرة على أمور الحب. وبسرعة ومن دون ان تفكر بما قالته سألته: «هل ستحضر حفلة آل هدسون غداً مساءً؟»

قال: «كلا.» شعرت حين قال ذلك وكأنّ دلو ماء بارد قد أسقط على رأسها. لقد فعلت ما نهته عنها عمتها، ألا تطارد الرجال. فالرجال يكرهون المرأة التي تطاردهم. والواضح ان عمتها محقة.

اغتصبت إبتسامة مصطنعة وغمغمت: «لا بأس.»

قال: «شكراً لأنك رقصت معي يا آميرة.» وحدجها بنظرة طويلة معبرة، قبل ان يتركها في عهدة عمتها. وظل يحدثها غير عابىء بنظرات الإستنكار من عمتها او من باقي النساء الحاضرات، ثم استأذن ليتحدث مع ثنائي آخر كان يقف بالقرب منه.

لإخفاء خيبة أملها، راحت بترا تبتسم لضيوفها، محاولة تصنّع المرح. لكن طوال الوقت كانت تبحث بنظرها عن كين.

وجدت المرأة التي كان يراقصها وشعرت بالغيرة منها. وازداد شعورها بالغضب عندما غادر الإحتفال برفقة جان بولارد.

كرهت المرأة وابتسامتها المقوسة على شفتيها، لكنها ظلت تبتسم لضيوفها ابتسامتها المصطنعة. وانتهى الإحتفال.

قبلتها عمتها متمنية لها العمر المديد، وأرسلتها الى غرفة نومها، مع إصدار أمر لها بأن تنام حتى وقت متأخر من صباح اليوم التالي.

تمددت في غرفتها التي خضعت لإعادة تصميم السنة الفائتة. وأغمضت عينيها وهي تتذكر كل تفاصيل الحفلة، والرقصة التي رقصتها مع كين، وتذكرت تعابير وجهه القاسية.

كان ذا شخصية جذابة آسرة وقوية. أبحرت في عالم الخيال مما جعلها تحمر خجلاً من نفسها. واشتدت حرارة جسدها وفي نهاية الأمر استسلمت للنوم.

استيقظت متأخرة في اليوم التالي، وقد اشتدت حرارة الجو في مدينة أوكلاند، وغمرت اشعة الشمس شواطئها الجميلة بدفئها.

www.liilas.com

ادركت بكسل ان اليوم هو السبت، وليس عليها النهوض باكرا، تراءت لها حياتها رمادية، مملة ورتيبة.

ربما كان عليها الإصرار على الالتحاق بالجامعة. لكن عمتها كايث كان لها رأي آخر. فهي أصرت على تقديمها للمجتمع وحضور المناسبات المتعددة، والحفلات التي يدعون إليها.

ولطالما عبّرت العمة كايث ستانهوب عن رغبتها بالاستمتاع بالعطل والحفلات والمناسبات أكثر من مرة. وبالسفر الى اوستراليا، وفيما بعد تقومان بجولة طويلة في اوروبا. وانتظرت بترا حصول ذلك بفارغ صبر، حتى مساء أمس،عندما استطاع ذاك الرجل البارد النظرات ان يجعل قلبها يثب بين ضلوعها، محدثا ثورة داخلية عنيفة.

استحمت، ورتبت سريرها وارتدت سروالاً قصيراً وبلوزة. تخيلت نفسها بين ذراعي ذلك الرجل تراقصه على ضوء القمر وهو يضمها إليه. لكنه كان واضحا عندما وضع حدا لكل تطلعاتها، وحكم عليها انها صغيرة السن.

راحت تستعيد ملامح وجهه، أنفه الحاد، وجبينه العريض، وذقنه المدببة النافرة، وعينيه اللتين تشعان ذكاء وبريقا.

سمعت صوتا يناديها: «بترا؟»

اجابت على الفور: «إني قادمة، إني قادمة.»

تأملتها عمتها للحظات وقطبت جبينها وقالت لها: «يا عزيزتي، لن ترتدين هذه الثياب لتناول الفطور، انت تعلمين ان عمك لا يستلطف ان تظهر ركبتيك اثناء تناول الطعام. ما رأيك لو خرجت مع آل دونالدسون في نزهة على اليخت الذي يملكونه. لقد اتصلت بي ماري، وقالت انه يوم رائع، وقررت ان تذهب الى كواو.»

اجابت بترا وهي تحاول ان تظهر الحماس: «اود ذلك فعلاً. هل ستأتين كذلك؟»

اجابت عمتها: «نعم عزيزتي. وعمك سيأتي معنا ايضا.»

كان ذلك تغييراً مثيراً. فقد امضى العم اورنس الشهر الماضي كله في المكتب منهمكا في عمله. وكان يخت آل دونالدسون كبيرا وفخما. المأخذ الوحيد هو انه لن يكون هناك شباب او فتيات من نفس عمرها لتستمتع برفقتهم. لكن بترا كانت تستمتع بصحبة من هم أكبر منها سنا، خصوصا السيد لوئيل وزوجته اللذين كانا يتمتعان بخفة ظل وروح دعابة يرتاح لها المرء. وكان هناك احتمال ان يكون ابنهما جوني من ضمن المتواجدين، وهو صديقها منذ أيام الطفولة.

لذا قالت: «يبدو الأمر رائعاً يا عمتي كايث، وشكراً

لك بخصوص الليلة الماضية. كانت الحفلة بالفعل رائعة.»

ردت العمة كايث بقولها: «لقد بدوت أكثر من رائعة. كم كنت فخورة بك ياحبيبتي. وعندما أفكر بـ...»

لم يكن هناك داع لأن تكمل كلامها. فبترا تتذكر تماما اليوم الذي جاءت فيه العمة كايث وكانت بعمر ثماني سنوات، برفقة أمها المستهترة، التي تصيبها دائما نوبات الغضب، حاقدة تزدري كل ما حولها، والفوضى تعم حياتها. لكن بترا كانت من نوع الأطفال الذين لا يتمالك الآباء إلا أن يتعلقوا بها. لكن والديها المنفصلين كانا منشغلين بحياتهما الخاصة. فوالدها ابتعد عن أمها بعدما مرغت كرامته بالتراب، ووالدتها انشغلت بسعادتها وحياتها.

بقيت الطفلة المسكينة بترا تعاني من ظلم وإجحاف والديها الى ان كفلتها عمتها وفتح لورنس وكايث قلبيهما للطفلة المسكينة البريئة، وتعهداها بالتربية الصالحة والتنشئة القويمة، ووفرا لها حياة كريمة بعيدة عن تأثير الأم السيء.

وكزهرة متعطشة تقبلت حبهما وحنانهما وبادلتهما الحب والحنان والاهتمام. قالت بترا وقد قبلت خد عمتها: «كنت طفلة مريعة، وعندما أفكر فيما كان سيحصل لي لو لم تتعهديني، يتجمد الدم في

عروقي. كانت صديقة والدي تعمل وقتاً إضافياً عندما وجدت عنوانك وسلمتني لك.»

ضحكت العمة كايث وقالت: «يا عزيزتي. اعترف انك كنت مريعة. لكن لم يستغرق الأمر كثيرا عندما لمست فيك شيئا من والدك، بعض دم آل ستانهوب العريق والنبيل! كل ما كان يلزمك هو بعض النظام. وأعترف ان ذلك لم يكن سهلا. لكن بالنهاية تكللت جهودنا بالنجاح واستجبت لنا وأصبحت ما أصبحت عليه. تعالي وتناولي فطورك، لكن اولا بدلي ملابسك، ولسوف نقابل آل دونالدسون في الميناء بعد ساعة.»

* * *

ما لم تتوقعه هو ان تقابل كين فليمنغ مجدداً، وقد ارتدى سروالا قصيرا وبلوز قطنية، عقدت الدهشة لسانها وحاولت إخفاء سرورها، وهو ايضا دهش من الصدفة، كيف جمعتهما ثانية. وانقبضت عضلات معدتها، فقد يفكر انها تعمدت هذا اللقاء.

اجهدت نفسها لتظهر الثبات والهدوء، ابتسمت له وضحكت لجوني دونالدسون بينما كان يحاول اللحاق بها.

جلست بعيدة عن كين. ولحظة غادر اليخت الميناء سألت بترا السيد ليونيل، فيما إذاكانت بإمكانها

المساعدة على رفع الشراع استعداداً للإبحار. رمقتها عمتها بنظرة مستفهمة باعتبار انّ هذا التصرف صبياني، لكن بترا بقيت على موقفها ولم تتزحزح وأعرضت عن نظرات عمتها المؤدبة.

كانت تحب الإبحار على الطريقة القديمة، والطريقة التي استجاب اليخت فيها عندما رفع الشراع واطلقت المحركات، واستسلم للهواء ينفخ بالشراع ويقوده بعيداً في عرض بحر.

قال السيد ليونيل: «حسناً. اصعدي وساعدي جوني.»

اطاعته، وراحت تعمل مع جوني على تسوية الشراع، وشده بالحبال ومن تثبيته ليبقى معرضاً للريح ليدفع باليخت بعيداً عن الشاطئ.

عندما انهيا ذلك، قال جوني: «سوف أذهب الى خليج الجزر الأسبوع القادم لمَ لا تأتين معي؟»

كانت تحب ذلك، لكن عمتها بالتأكيد سترفض. ولا مجال لأن تعاندها وتصر على ان تتمتع بحريتها الكاملة. اجابته وقد عضت على شفتها: «السنة المقبلة ربما.»

كان جوني يعرف وضعها الاجتماعي لذا هز كتفيه وقال: «أتعتقدين انها ستسمح لك بالخروج من الشرنقة آنذاك؟»

ردت بترا: «انها تحميني، وتحميني جيداً. لكنها لا

تعرف غير ذلك. لقد نشأت في بيئة كانت الفتيات يبقين تحت الرقابة والرعاية الدائمة. وهي تعتقد انّ الأمر لا زال كما كان عليه.»

رد جوني: «اعرف هذا، فأمي كانت تفعل نفس الشيء.»

نظر خلفها وقال بنبرة إعجاب واحترام: «مرحباً كين، كيف حالك وحال سوق المال؟»

اجاب كين: «متقلب.»

ثم اصبح خلف بترا مباشرة. لكنها لم تستدر، وشعرت بأنفاسه على شعرها.

قال جوني وقد لاحظ ما اعترى بترا: «كالعادة. لكنك تستطيع التحكم به أليس كذلك؟ والدي يقول انّ الامر يتطلب اعصاباً فولاذية، ومهارة وحدس صائب ليبقى المرء متحكماً بتقلبات السوق كما تفعل انت. يتطلب الأمر قمرة فائقة.» تنهد بأسى وتابع: «بالنسبة إلي، عقدت العزم على التخصص بالطب.»

ردت بترا بعذوبة: «الطبيب يساعد الناس.»

قال وقد أزاح خصلة شعر لها وراء أذنها: «حقاً! لكن كون الإنسان طبيباً ليس فيه من الرومانسية شيء! أليس كذلك؟»

قال كين بلهجة جافة: «وتعتقد ان العمل في سوق المال فيه رومانسية؟ لا تصدق ذلك. إنه عمل مثل

www.liilas.com

سائر الاعمال. يبدو وكأنك تلعب لعبة للأولاد. حالياً، أفكر في الاستقالة.»

فتح جوني عينيه مندهشاً، وبقي صامتاً للحظات يدرس ملامح كين، ثم ابتسم وقال:«كلا، لن تستسلم. والدي يقول إنه نوع من الإيمان، إنه يسري في دمك. وهو يعتقد أنك سوف تستمر، حتى تصل الى القمة.»

أجاب كين مبتسماً:«أي قيمة؟»

أربكت بترا، من نبرة صوته العميقة وكأنها آتية من بعيد، ولاحظت الثقة التي يتكلم فيها، بدا وكأنه نسر يحوم في الفضاء بمفرده بحثاً عن فريسة يقتلها وليس ليصطادها فقط.

بالنسبة اليه المكاسب المادية مجدية، لكن ليس لدرجة المغامرة بكل شيء، وتحمل عواقب الخسارة والإفلاس.

قال جوني معقباً:«كما تريد يا صديقي. السماء هي حدودك. فحلق كما تريد. انت عصامي ومكافح، وتحقق النجاح. أما بالنسبة لأمثالنا فيكفي ان نبقي رؤوسنا فوق الماء. أليس كذلك يا بيت؟»

«بيت؟»

«آه، إنه اختصار لبترا.»

قال كين:«لا ألومك على تسميتها هكذا، مع أنك تبدين كحيوان أليف جميلة وسهلة الصداقة،

تستسلمين للتربيت والحب، ولا تقدمين شيئاً بالمقابل.»

اجابت بترا بنبرة غاضبة:«ومن قال لك ذلك؟»

أعادها هجومه الى عالم الواقع، وبدت مستاءة جداً مما قاله، شعرت وكأن كرامتها قد أهينت، ولاحظت تعبير وجهه فقالت:«انها جان على على اعتقد.» وحاولت إخفاء غيرتها وألمها وهي تضيف:«إنها لا تستطعفني كثيراً، وتعتقد أني صعبة الإرضاء ومعقدة.»

راح يراقبها وقال:«ربما لقب أميرة يناسبك أكثر.»

جرحتها عبارته الجديدة أكثر، لكنها اخفت ذلك بابتسامة حاولت ان تبدو فيها هادئة وقالت:«شكراً لك.»

وجهت نظرها نحو عمتها التي كانت تراقبهما، وقد قطبت جبينها دلالة على عدم الرضا، وكانت مقطبة الأسارير، فانسحبت وانضمت إليها على الفور، وراحت تتنفس وكأنها خرجت للتو من هوة عميقة.

كان إحساساً سخيفاً. وقررت وضع حد له، لتظهر لكين أنها لا تلاحقه، وأن الصدفة وحدها هي التي جمعتهما مجدداً.

امضت فترة الصباح بهدوء ولطف، كانت تبتسم

www.liilas.com

له من دون تشجيعه على التمادي معها، محاولة ان تخفي ما يتركه وجوده بالقرب منها من ثورة في داخلها.

بحلول الظهر، توقفوا أمام شاطىء كواو الرملي. ولاح برج منجم النحاس القديم المهجور، وبدا الميناء وهو يدخل الى قلب الجزيرة وظهرت التلال الخضراء الخلابة. كانت نزهة رائعة بكل ما للكلمة من معنى، طعام لذيذ، صحبة ممتعة، السماء صافية، والشمس مشرقة، والأمواج تتكسر على الشاطىء بهدوء، وأوراق الاشجار تميل مع الرياح على مهل.

كانت بترا، تشارك في الحديث عندما تضطر لذلك. وأبقت عينيها بعيدة عنه، بينما كان هو يتكىء على جذع شجرة، ويستأثر بالاهتمام، حيث بدا كل رجل آخر ظلا باهتا له. لاحظت ان ملامحه قست عندما التقت نظراتهما، فأشاحت بوجهها وتطلعت نحو العم لورنس الذي كان يراقبها عن كثب، لكنه لم يبد غاضبا، وابتسم لها. اخذت تنظر نحو الناس الذين عرفتهم لسنوات، وقد بدوا بالنسبة إليها غرباء عنها، مجرد ناس عابرين.

بدا التأثر واضحا على بشرتها وكأن حشرة راحت تلسعها، لكنها جاهدت وغالبت مشاعرها، والتفتت نحو المرأة التي تجلس الى جانبها، وراحت تستذكر

كل المهارات الاجتماعية التي علمتها إياها عمتها، وراحت تكلمها وتتسامر معها.

بعد تناول الغداء، نزل الجميع للسباحة في المياه الدافئة.

قالت إحدى الفتيات:«سوف استمتع بحمام شمس.» ثم تابعت موجهة كلامها الى بترا:«هل ستأتين يا بترا؟»

اكملت بترا تجفيف جسدها، وعقدت شعرها على شكل ذيل حصان. وطوال فترة ممارسة السباحة، تحاشت النظر اليه مع انها كانت تحس بوجوده، وتعرف مكانه وبأنه يراقبها. وتمنت لو كان لديها جسم جميل، إنها نحيفة، ولا مجال لذلك. ولم تكن لترضى ان تستلقي مع فيونا هيوارد، او جان بولارد، ليقارنها معهما، وكلاهما كاملتا النضج والأنوثة.

اجابت:«كلا، لكني سأقوم بنزهة بين الأشجار، هل سترافقني يا جوني؟»

اجاب جوني:«كلا، الحر شديد.»

قالت:«يا للشاب الكسول.»

ابتسم وهو يستلقي تحت اشعة الشمس وأجاب:«نعم.»

حاولت عمتها نهيها عن الذهاب بمفردها لكن بترا اقنعتها بأنها لن تضيع او تسقط من على صخرة.

www.liilas.com

اسرعت الخطى باتجاه أشجار الصنوبر، والرمل الحار يلسع قدميها اخذت تتأمل الحيوانات الصغيرة التي احضرت من اوستراليا لتعيش في احضان الطبيعة هنا بأمان. كانت بحاجة الى بعض الوقت بعيداً عن كين فليمنغ، لكن كلما اغمضت عينيها كانت ترى صورته بخيالها، فلم يفارقها. كانت تتخيل وسامته، خصره النحيل، ووجهه الساخر، ومظهره الرجولي الذي ينضح بالقوة. كان مظهره يتناقض مع ما بدا عليه باقي الرجال، ومعظمهم كان سميناً مترهلاً من الجلوس والبقاء خلف المكاتب. حتى جوني الشاب الصغير السن، لم يكن لديه هذا المظهر الرجولي المغرور.

وجدت بترا مكاناً منبسطاً. فجلست تحت شجرة مظللة. ومن خلال الاغصان كانت ترى الخليج بمياهه الصافية. ولو أرادت السمع جيداً لسمعت الضحكات تتعالى من بعيد. كانت تحاول تهدئة عواطفها الجياشة بابتعادها عن كين.

جلست وضمت ركبتيها بيديها، فأسندت رأسها على يديها وهي تشعر بالانتعاش من رائحة الأشجار التي تصلها عندما يحملها الهواء. داعبها النعاس لكن سرعان ما تنبهت حواسها لدى سماعها وقع أقدام. التفتت فشاهدت كين يسرع الخطى صعوداً باتجاهها.

عرفت في الحال، ان هذا ما كانت تريده منذ ان رأته تلك الليلة في ضوء القمر. ان تكون معه لوحدها.

قال وقد وقف الى جانبها:«عمتك ظنت انك ربما تهت في الغابة.»

حدقت بترا في عينيه الصافيتين كما الينبوع، وانتابها شعور بالضعف والإستسلام، أجابت:«ليس من عادتي ان أضيع.»

ابتسم ابتسامة ساخرة وجلس الى جانبها، وقال:«قد يكون دائما هناك مرة أولى.»

جفت الكلمات في حلقها، لكنها قالت:«هل تربطك علاقة مع جان؟»

اجاب:«كلا، لكني قصدت ان تعتقدي اني كذلك.»

قالت وقد عضت على شفتها:«لم أفكر بذلك. لكني شعرت بالغيرة...»

سادت لحظة من الصمت، ثم قال:«انا كبير جداً عليك.»

اجابت:«انا صغيرة جداً عليك.»

قال:«بترا انظري إلي. وجهك جميل، لكني أريد ان أرى عينيك.»

احمر وجهها خجلاً ورفعت وجهها ليتأملها. التقت نظراتهما، اضاف:«ماذا سأفعل بك؟»

استجمعت كل شجاعتها وقالت:«لا أدري. لا اريد

ان أكون ثقيلة الظل، ومصدر إزعاج، لكني لا ادري ماذا علي ان أفعل. ولا أدري ما هو هذا الشيء الذي ينتابني.»

قال وقد اغمض عينيه، وارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة:«أوه، يا أميرتي.»

انحنى عليها وقبلها. بدا الأمر وكأنه انفجاراً او زلزالا قد حدث في داخلها، ودمها ودماغها. اطلقت تنهيدة قصيرة، وازدادت نبضات قلبها تسارعاً. تمتم كين بشيء لم تفهمه، ثم ضمها إليه مجدداً. وراح يقبلها بجنون. لم تشعر من قبل بما تحس به الآن، كانت قبلاته من نوع مختلف وتأوهت اكثر من مرة وهو يضمها ويعانقها ويشدها إليه.

لكن من حمى العناق والتقبيل تذكر ما كان يفعله، أبعدها جانبا وتمتم بصوت منخفض، ثم ابتعد عنها قليلاً، مفسحا المجال لمسافة بينهما، يلتقط بعدها أنفاسه ويتحكم بعاطفته.

الفصل الثاني

راحت بيترا تتأمله بشغف. لم تكن قادرة على التفكير العقلاني، ولا على فعل أي شيء سوى الإحساس بتعطشها للحب او اقتناص اللحظات السعيدة. لكن شيئاً فشيئاً، راح الحماس يخف ويتلاشى تدريجيا ليحل محله صوت العقل. محى الإحراج الحماسة التي كانت تشعر بها. اندهشت مما كانت تفعله، فقد كانت تغويه ليقبلها. ماذا ستقول لعمتها كايث ولزوج عمتها لورنس اللذين كانا يحافظان عليها، ويمنعانها من ارتكاب الاخطاء مع الشبان الطامحين لمغامرات سهلة مع الفتيات الغريرات. تبادر الى ذهنها صورة أمها أن ستنتهوب، وهي ترجو رجلا مثله ان يبقى معها. كم سيزدريها ويحتقرها ويسمعها الكلام المهين.

فجأة لم تعد قادرة على الجلوس، فهبت واقفة على قدميها وأرادت الابتعاد والهرب، فيما الصورة التي رسمتها لأمها في خيالها تطاردها. هبّ هو الآخر واقفا وأمسكها من يديها وقال:«مابك، ما الأمر؟ هل اخفتك؟ تبدين مرتعبة! هل اخفتك يا أميرة؟ آسف يا حبيبتي.

www.liilas.com

لقد تصرفت كحيوان، فأنت لست سوى طفلة.»
حاولت إخفاء وجهها. وبدأ قلبها يخفق بعنف مجددا. قالت: «لا أدري ماذا حصل يا كين؟»
تآوه وجذبها إليه، يريد ان يواسيها ويهدىء من روعها هذه المرة، لكن الحرارة... حرارة الجسد، أوقدت فيهما النار مجددا، انتزع نفسه وابتعد عنها قليلا.
قال: «انت لا تعلمين مقدار التأثير الذي تحدثينه بي، أم تراك تتصرفين هكذا مع كل رجل يقبلك؟»
لم تجب، بل امتلأت عيناها بالدموع لهذه الإهانة الجديدة.
قال: «توقفي وإلا سأقبلك وليحصل ما يحصل، اعتقد ان الأمر سينتهي بي وصوت عمتك يرن في أذني.»
قالت: «ماذا ستفعل الآن يا كين؟»
قال: «شيء من اثنين، إما نركض في اتجاهين مختلفين، ونبقى طوال حياتنا نحاول معرفة ما حدث، او تناسي أنني أكبر منك بعشر سنوات، والبدء بالتعرف على بعضنا اكثر وببطء وبتعقل شديد.»
كانت تقف شاردة تستمع إليه وكأنها سجينة تنتظر سماع الحكم من هيئة المحلفين.
بينما كانت عيناها زائغتين ويداها ترتجفان، سألته بترا مجددا: «ما الذي ستفعله؟»

ارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة ماكرة وقال: «لنجرب السيطرة على النفس اولا. ونجرب لاحقا هذه المقدرة الى ان نصل حيثما توصلنا. الافضل ان نعود الى الشاطىء الآن وعلى الفور.»
مشت معه دونما اعتراض. ولما وصلت رمقتها العيون. البعض منها بالدهشة والبعض الآخر بالتساؤل، والبعض بالغم والكدر وببعض نظرات الاستهجان والاتهام.
بدا ان في ابتسامة زوج عمتها لورنس شيء غير ودي لكنه لم يقل شيئا، ولم يوجه لها أي تأنيب، لكن عمتها كايث لم تسكت.
عندما وصلت الى المنزل ذلك المساء بدأت بالقول: «يا عزيزتي، لا أريد ان تفهمي أني أكره كين فليمنع بل أحبه وأحترمه، وأشك في ان امرأة قادرة على كرهه! لكني أود ان ألفت نظرك، أنه يتمتع بسمعة سيئة جدا. فهو رجولي أكثر من اللازم. وهذا لمصلحته، والرجال يغتنمون الفرصة ويأخذون ما يقدم لهم.»
سكتت بترا، وأطلقت العنان لخيالها، وتساءلت ما إذا كان العم لورنس قد عرض عليه شيئا واغتنم الفرصة. وبدا لها كلام عمتها غير منطقي. فقد عرضت نفسها عليه، لكنه رفض وتراجع برجولة

www.liilas.com

وشهامة، مع أها كانت ستعطيه ما يطلبه دون تردد. لكنها لم تكن قادرة على الاعتراف لعمتها بذلك. اومأت برأسها موافقة.

اكملت عمتها:«وبالطبع هو أكبر منك سناً بعدة سنوات. ولا يصلح لك.»

اجابت بترا:«أعلم ذلك.»

قالت عمتها:«انا سعيدة إذن. إنه رجل ذكي جداً، وجذاب. هذا ما تصفون به رجلا مثله، أليس كذلك؟ لكن خلف ذلك المظهر يكمن شخص آخر مختلف تماما، عديم الرحمة ولا يقيم وزنا لأي أخلاق ومعايير او احترام.» ابتسمت العمة لها وتابعت:«اعلم انك ستكونين عاقلة. هل انت جاهزة؟ عمك لورنس ينتظر، ولا نريد ان نفوّت دقيقة واحدة من حفلة آل هدسون.»

كان آل هدسون في أواسط عمريهما، ومعروفين بحبهما للمناسبات الإجتماعية والحفلات. كانا يحبان الحياة الإجتماعية واستقبال الضيوف والإحتفاء بهم.

وهذه الميزة تمتعت بها كذلك آن ستانهوب، والدتها، وبرزت في أول سنين زواجها، لكن، باختيارها الرجل الخطأ وانغماسها في أمور منافية للذوق السليم.

شعرت بترا بالبؤس لأن كين لم يكن متواجداً، لكن

معنوياتها ردت إليها عندما ظهر بعد خمس دقائق في منزل آل هدسون.

قالت عندما اقترب منها:«مرحباً.»

قال:«مرحبا يا أميرتي.»

مر المساء على خير، بعدما حرص كين على عدم حصول أي احتكاك جسدي بينهما، لم يدعوها للرقص لكنه ظل قريبا منها وتحدثا وكأنهما الوحيدان في القاعة. بدا ان لديهما الكثير من الاشياء المشتركة، مع انه كان يصدمها بتشاؤمه، لكنها مع ذلك اعجبت بذكائه الوقاد وبداهته الحاضرة دائما.

بانتهاء الحفلة أملت بترا ان يكون قد بدأ يراها كامرأة عادية، وليس امرأة مثيرة فحسب. كان يمكن لتصرفها الأحمق واستجابتها السريعة له ان تقوده لعمل طائش معها، لولا أنه امسك نفسه في اللحظة الأخيرة، وسيطر على اعصابه.

تركها تغادر مع عمتها وزوج عمتها، وودعهم بابتسامته الماكرة الخبيثة الملتوية والساخرة.

لزم عمها لورنس، وعمتها كايت الصمت طوال طريق العودة الى المنزل. ولأول مرة شعرت بترا، انها غير مهتمة برد فعلهما، لأنها امضت الأمسية بشكل رائع.

لدى وصولها الى المنزل، قفزت الدرج صعوداً،

www.liilas.com

وذهبت تواً الى الحمام، كانت لا تزال سعيدة بأحداث السهرة الجميلة. ولاحظت نفسها في المرآة. كانت السعادة تطفح من أساريرها، وأعجبها ما شاهدته، فقد دل على امرأة ناضجة كاملة الأنوثة، جاهزة لاستيعاب إغراءات الحياة.

تذكرت والدتها وأصيبت بصدمة. كانت والدتها هكذا مرحة، متوقدة. وما شعرت به بين ذراعي كين، هو ما كانت تشعر به والدتها، بين ذراعي كل حبيب جديد لها. وتذكرت والدتها كيف كانت تبكي بشدة عندما يتركها احد معجبيها وتبدأ بالتفتيش عن معجب جديد.

فجأة انتفضت بترا وقالت:«كلا!» لم تكن تشبه والدتها. لقد كانت والدتها مدمنة على الافتتان بالمعجبين. بينما هي احبت رجلا واحدا وهو كين فليمنغ.

طردت ذكرى والدتها من خيالها وأبقت على كين تستعيد صورته المرة تلو المرة. وتأملت جسدها النحيل وتذكرت انها بالكاد كانت تأكل شيئا على العشاء، ولا شيء في المناسبات.

ارتدت ثوبها وراحت تحدث نفسها، قائلة: انا احب، انا واقعة في الحب، وهو يحبني. وتراءى لها مستقبلها مشرقا مضيئا أمامها، مليء بالسعادة.

نزلت على رؤوس اصابعها الى الطابق السفلي وهي تطلق العنان لخيالها. وعندما مرت بباب مكتب زوج عمتها لورنس سمعته يقول لعمتها:«إنها الطريقة الوحيدة، صدقيني يا كايث.»

اجابت عمتها:«ولكنها لازالت طفلة.»

اخذت تصغي لتعلم ما الذي يدور بينهما، وأدركت ان ما يدور من حديث ليس مما حدث في الحفلة بالتأكيد.

قال العم لورنس وفي صوته نبرة اشمئزاز واحتقار:«ولكنها ورثت الكثير من أمها لتعرف كل شيء. لقد رأيتها كيف بدت في جزيرة كواو، شعرها مشعث كهرة برية. وكان واضحا ما كانا يفعلانه فوق بعيدا عن الأعين.»

اجابت عمتها:«ليس فيها من أمها شيء، لا شيء فيها من ان. أي فتاة قد تعجب بكين فليمنغ. إنه الرجل الأكثر جاذبية الذي صادفته منذ مدة طويلة.»

علا صوت العم لورنس وقال:«إنه رجل انتهازي، وليس في ذهنه إلا شيء واحد، الوصول للقمة بأي ثمن، وبأي طريقة، وكل الاشياء الاخرى لا قيمة لها عنده. ولا يهمه من يدوسه ليصل الى هدفه. إنه بلا تربية، وبلا أخلاق وليس نبيل الأصل، ووالده لم يكن يصلح ليكون مزارعا يكسب

www.liilas.com

بعرق جبينه في وقت كان أي غبي يمكنه ذلك.»
شعرت بترا بجلدها يصبح دبقا. وقفت وكأن صاعقة ضربتها، وقد خمنت ما سوف يلي. فالعم لورنس سيطلب منها ان تتوقف عن رؤية كين. رفعت رأسها بتحد، وبقدر ما كانت تحب الرجل الذي اعتنى بها كوالدها، لكن هذه المرة لن تطيعه.
سألت العمة كايث بصوت غاضب:«إذا كان هذا رأيك فيه، لماذا تشجعه اذن؟»
اجاب:«انها سياستي. دعي الأمر لي يا كايث. انا أعلم ما أفعله.»
تقبلت العمة ذلك، مثلما كانت تتقبل أي شيء يريده. وتساءلت بترا اكثر من مرة، لماذا لا تهتم بما يفعله زوجها. فهي لم تسمعه يتحدث أمامها بأمور العمل، او ان عمتها وجهت له سؤالا عنه.
لكن هذه المرة حاولت، فقالت عمتها:«لكن يا لورنس ماذا لو...؟ ماذا لو قاما...؟»
قال:«لن يفعل. إنها من آل ستانهوب، ولديها من يحميها، ولست من دون نفوذ مع جيم فوغان. قد يكون فليمنغ انتهازيا، لكنه ليس غبيا. سيبقى مسيطرا على نفسه.»
قال ذلك بلهجة حازمة منهياً الجدال في الموضوع. ثم أضاف:«لا تقلقي يا كايث. فقط...»

تبخرت شهيتها للطعام وعادت أدراجها للطابق العلوي وراحت الأفكار تتوارد في ذهنها بثورة عارمة لا مثيل لها. وبالرغم من استراقها السمع، لم تشعر بالخجل من نفسها. كانت تشعر بالحقد. فالعم لورنس لا يحق له ان يقول بأن فيها الكثير من صفات والدتها. لم يكن الأمر صحيحا. لم تكن تبدو معتدة بنفسها. لكن ماذا يريد من كين؟ يبدو أنه كان يعرف بعض نقاط ضعفه. هل تنذر كين، كلا. سيبدو الأمر خيانة لهما. وبالحكم على شكله كان يبدو قادرا على الإعتناء بنفسه دون تدخلها.
راحت تعض على شفتها السفلى من الغيظ والقهر، لشعورها بالعجز عن القيام بأي شيء لتدافع به عن نفسها. مشت حتى وصلت الى النافذة ونظرت الى الخارج، الى الحديقة المضاءة بضوء القمر، إلى الجسر الصغير، وبحيرة الزنبق.
قبل اربع وعشرين ساعة التقت بكين هناك لأول مرة والآن تعتقد أنها ستحبه حتى آخر لحظة من حياتها. ضمت يديها حول جسدها النحيف، وقد لاحت على شفتيها ابتسامة مرتعدة. بدا كل شيء معقدا وأدركت أن سبب التعقيد كان كين.

* * *

مضت ثلاثة اسابيع كانت مليئة بالشوق والتوقع

www.liilas.com

والإثارة، وكانت ترى كين باستمرار. لكنه حرص على ألا يلمسها على الاطلاق. كان دائما يبقي مسافة بينهما.

أبحرا في يخته الخاص، وذهبا الى السينما والمسرح والى المطاعم ولبيا دعوات لحفلات اجتماعية، وتمشيا في غابات ويتاكيري حيث الأشجار الضخمة الباسقة، ورافقها الى حفلة موسيقية. وأحيانا كان يصطحبها بنزهات طويلة بسيارته في الريف.

قال ذات مرة:«لا بد انك تشعرين بالملل؟»

هزت برأسها نافية، كيف تشعر بالملل وهي معه؟ وارتسمت على وجهه ابتسامة لم تكن موجهة لها بقدر ما كانت موجهة لنفسه وأضاف:«أحب ان اقود سيارتي، عندما اكون بصدد حل مشكلة ما، وأعمل على حلها. لكن لا تفسديني يا أميرة.»

مع انه كان مستعدا للتحدث بأي شيء معها، لم يتحدث ابدا عن عواطفه تجاهها، أو عن حياته، لذا فكل شيء تعرفه صدفة كان بمثابة كنز، وإشارة لأن ثقته بها تزداد.

سألته:«وهل وجودي معك يزعجك؟»

ضحك وضمها لعدة لحظات، ثم قال:«هيا، سأوصلك الى المنزل لتبدلي ثيابك ثم سأعود بعد ساعة لاصطحبك الى العشاء...»

لكن مع حلول فصل الخريف. لم يعد الكلام يطفىء نار لهيبها وتحرقها للحب والعناق. لقد ايقظ فيها كل الرغبات المجنونة، ومع ذلك بقي على تحفظه معها. لقد احبته بكل جوارحها لكنها لم تسمع منه أي كلمة تدل على انه يحبها ويريدها.

قال لها ذات يوم عندما كانا في حديقة الحيوانات:«تشعرين بالإحباط، أليس كذلك؟»

لقد انفجرت فيه دون سبب واضح. والآن تشعر بالندم، والخوف مثل أمها تماما. هذا بالإضافة الى الغضب والحزن. وتطلعت إليه من خلال دموعها من دون ان تجيب.

قال:«اشعر بما تشعرين به، لا استطيع النوم جيداً من هذا الاحساس الذي يعذبني، ولكن يجب ألا اخطىء معك.»

تنهدت بصوت عال وقالت:«آه، اجل...»

اضاف:«أهلا بك في عالم القصص الخيالية يا أميرة.»

قالت:«ظننت ان ما يمنعك هو ان شيئاً ما بي او بشكلي لا يعجبك.»

قال:«لا نستطيع ان نقوي علاقتنا اكثر من ذلك، لو كنت أكبر سنا، لكان الشيء الوحيد الذي أقوم به هو ان اقودك الى منزلي على الفور، لكننا لا نستطيع ذلك.»

www.liilas.com

قالت ببراءة:«إذن ما الذي سنفعله؟»
كانت تعرف الجواب دون أن تسمعه منه. وأسقمها الأمر، وشعرت أنها مريضة وباردة، وأن حبيبها قد خانها.
أجابها:«نحن لسنا مناسبين لبعضنا. وما سنفعله هو أن نودع بعضنا، ونحرص على ألا نرى بعضنا إطلاقا.»
عضت على شفتها لتمنع صرخة غضب كانت ستنطلق من حلقها ثم قالت:«تبا لك، وعلى كبريائك وأفكارك.»
ضحك بنعومة لكن بمرارة ربما على نفسه وقال:«آسف، اعتقد أني اعرف، ومنذ البداية، ان الفراق حتمي. لكني اردت ان العب في حديقتك لفترة.»
نزل نمر عن غصن الشجرة وأخذ يسير على أرض قفصه وعينيه مركزتين عليها.
أضاف:«لم يكن الأمر عادلا. لكنك جميلة وبريئة، وكريمة وكل شيء ليس بي أجده فيك. وأردت ان استمتع بهذه الصفات من دون ان اورطك في أمر تندمين عليه لاحقا.»
قالت وهي تشعر بالصدمة:«أهذا ما سينتهي الأمر عليه؟»
اجاب وهو يتأمل النمر السجين:«لا أدري. لكن المعروف عني اني لا استمر بعلاقة طويلا. أنت

صغيرة وبريئة ولا اريد ان اسحق كل ذلك وأبدد أحلامك فذلك يعذبني.»
قالت:«ولكني احبك.»
ارتمى النمر ارضا وراح يمرغ نفسه بالتراب.
قال:«اعلم ذلك. لكن شعورك نحوي سيموت. إنه دائما يموت. صدقيني الحب الأول هو الأصعب لكن في النهاية يتلاشى. يوما ما وفي المستقبل القريب. ستنظرين وراءك وتفكرين بنفسك وبي وتلومين نفسك على انزلاقك بهذه السهولة. ستتجاوزين كل ذلك صدقيني. والأمر لصالحك بالتأكيد. ستزدادين غنى بهذه التجربة، وتصبحين أعقل وأقل اندفاعا وأكثر حكمة.»
قالت وقد استدارت على عقبيها لتبتعد عنه وعن النمر:«لا تحاول مواساتي.»
قارنت ما بداخل الاقفاص من حيوانات ضارية مفترسة بذاك الذي كان طليقا. بدت ألصف من كين. فتلك تقتل. لكن كين يتلذذ بالتعذيب وتحطيم قلوب الفتيات.
لحق بها حتى المدخل، وأمسك بذراعها، وعندما حاولت التخلص من يده ضغط عليها بشدة أكثر.
قال:«انت تؤكدين كلامي. أحد أهم الاشياء التي يجب ان يتعلمها الشخص الراشد، هو كيفية التعامل مع الرفض.»

www.liilas.com

قالت:«اتصوّر أن احداً رفضك.»
اطلق ضحكة وحشية قاسية وقال:«لقد رفضني والداي.»
استدارت وقد استوقفها كلامه وقالت:«كيف؟»
قال:«كان والدي يعمل في مزرعة عند رجل وزوجته متقدمين بالسن، ولم يكن لديهما أولاد وكنت في تلك الفترة ولداً صغيراً، وقبل ان أذهب الى المدرسة كن أذهب لمنزلهما. وقد استلطفتني السيدة اندرسن، وراحت تقرأ لي القصص. ولاحظت بحس المعلمة، أني اريد ان أتعلم، وهكذا علمتني القراءة.»
قالت بترا:«وهل مانعت والدتك؟»
قال:«كلا. كان لديها ثلاثة آخرين غيري، تحت سن الخامسة. وأي شيء يخفف من مسؤوليتها كان مرحباً به.» ونظر الى الاعلى نحو السماء وقد مرت من فوقهما غيمة تبشر بهطول المطر.
قال:«من الافضل ان ندخل ونحتمي بالسيارة.»
وما ان اكمل كلامه حتى بدأت قطرات كبيرة من المياه تتساقط. اضاف:«تبا، يجب ان اوصلك الى المنزل، قبل ان تصابي بالزكام.»
اخذت ترتجف حتى مع تشغيل الحرارة داخل السيارة وانهمر المطر في الخارج بغزارة.
اضاف:«الافضل ان آخذك الى منزلي لتجففي ثيابك هناك.»

صرت على اسنانها لتمنع بذلك من ان تصطك على بعضها.
كان يسكن في فيلا قريبة من حديقة الحيوانات. عندما وصلا، قال لها:«أدخلي الى الحمام وناوليني ثيابك لأجففها لك.»
اطاعته وتساءلت ما الذي سيفعله إذا ما حاولت الآن إغواءه. بالتأكيد لن يكون قادراً على المقاومة. عضت على شفتها ولم تكن تقوى على فعل ذلك. فتعليمات عمتها كانت مغروسة جيداً في داخلها. وعندما تقر على الباب كانت تلف نفسها بمنشفة حمام كبيرة وتجفف شعرها. وقالت من خلف الباب:«نعم.»
قال:«هل وضعت عليك شيئاً؟»
اجابت:«نعم.»
قال:«تعالي وخذي ثيابك إذن.»
خرجت وأخذت ثيابها، وأملت ان ترى في عينيه قليلاً من العاطفة او الشوق. لم يتحاش نظراتها لكنه بدا غير متأثر او مهتم، ارتجفت شفتيها بينما كانت ترمقه بآخر نظرة توسل.
لقد اخرجها من حياته. أرادت البكاء، وان ترتمي على الأرض، ارادت ان تصرخ وتشتم وتضرب كين وتصفعه، لأنه لم يستجب لها.
كان لديه القوة ليقول لها الوداع. لكن عمتها تعبت

www.liilas.com

في تربيتها وتنشئتها بأفضل الاخلاق. خرجت بعد دقائق وقد ارتدت ثيابها، بدا اكثر هدوءا، وتلاشى الكثيرمن الغليان الذي انتابها قبل قليل.
استأذنها لبعض الوقت، فجلست على الأريكة تنتظره، وسبحت في عالم الخيال، وراحت تتصور لو انه قبّلها وضمها، لكنه ذكي ولا يريد التورط معها بأي شكل.
عندما عاد، كانت شاردة تماماً، واضطر لهزها من كتفيها لتستفيق من الحلم الذي كانت غارقة فيه. نهضت، ووقفت أمامه بتحد ثم أمسكت وجهه، وقبلته في عنقه وتشبثت به وهو يحاول إبعادها والتخلص منها دون جدوى. وأخيرا غابت معه في قبلة طويلة. وشيئا فشيئا، راحت مقاومته تنهار وغاب العقل والمنطق امام جمالها الذي لا يقاوم.
لكن، بعد مرور بعض الوقت عاد العقل والمنطق إليها، وفكرت بأمها التي كانت تسعى دائما خلف الرجال، ماذا ستفعل عمتها المتزمتة المحافظة إذا علمت بما كانت تنوي فعله بكل طيبة خاطر. وماذا سيقول زوج عمتها لورنس؟ كل هذه الأفكار راحت تدوي في رأسها، وهي تنظر إليه.
كانت قسماته جامدة، لا تظهر شيئاً. لكنها قالت:«لست آسفة لما حصل.»
اجاب:«ولكني آسف، ماذا سيكون موقفك الآن

يا أميرة عندما تدركين تماماً ما معنى الذي حصل.»
شعرت بتأنيب الضمير من صراحته.
اضاف:«سآخذك الآن الى المنزل.»
بعد صمت دام خمس دقائق قالت:«لقد قلت انّ والديك رفضاك. ماذا تعني بذلك؟»
أجاب بعدما كان يغرق في تفكير عميق:«عندما كبرت وأصبحت قادرا على المساعدة في مزرعة آل اندرسن، منعوني اهلي من التوجه إليهم. كان علي ان اعمل في المزرعة قبل الذهاب الى المدرسة وبعد الحضور منها، كنت مرهقا، وطبعا تأثرت نتائجي المدرسية نتيجة لذلك. ولما حاول آل اندرسن التدخل باعوني لهم. لكن شرط ان يحصلا على عمل دائم في المزرعة. وهكذا أصبحت إبن آل اندرسن بالتبني، وأرسلت الى مدرسة خاصة لتسريع تعليمي.»
قالت باترا مندهشة:«ماذا؟ لكن ذلك عمل بربري.»
قال:«ربما كان افضل ما حصل لي. على أي حال، ألم يحصل معك الامر نفسه؟»
قالت وقد هزت رأسها نافية:«كلا. تركتني أمي عند عمتي كايث، بينما كانت تقضي إجازة في تاهيتي. وعندما حان الوقت لاستردادي، قرر العم لورنس،

www.liilas.com

وعمتي كايث إبقائي معهما. لا أدري لماذا. مع أني كنت طفلة مريعة، غير نظامية وغير منضبطة. كان هناك قرار من المحكمة وربما الوصاية علي. كان هذا الحدث في تلك الاثناء، حديث الصحف ووسائل الاعلام، ولم يبق أحد لم يعرف بأمره. كانت فضيحة ذلك الوقت. صحيح كنت اصغر من ان افهم ما يحدث لكني تأثرت به بالطبع.»

قال:«نعم كانت طفولة يائسة. أتعرفين والدك؟»

قالت:«كلا. تركنا عندما كنت لا أزال رضيعة وتوفي عندما كنت في السادسة. كان أكبر من أمي بكثير، كان في الخمسين من عمره عندما ولدت. عندما تركنا غادر ما وراء البحار.»

عاش في إحدى مدن اميركا الجنوبية وتوفي هناك، بعدما ترك ثروة صغيرة لإبنته التي تركها وراءه. لم يكن المبلغ كبيرا لكن كما قالت عمتها، يكفي لمساعدتها للعيش بهناء.

تمنت بترا لو كان لديها أب. اختارت كلماتها بعناية ثم قالت:«لم يكن بالإمكان الحصول على أب وأم بنفس حنان ومحبة وعطف العم لورنس والعمة كايث. لقد وفرا لي كل ما حرمني منه والدي ووالدتي الحقيقيين.»

توقف بسيارته أمام مدخل منزل عمتها وقال:«لم أقصد ان اعيد إليك الذكرى الاليمة والمحزنة يا أميرة.»

لكن هذا لم يكن إلا وداعاً. حاولت خنق الدموع التي ترقرقت في عينيها وقالت بتضرع:«من فضلك قبلني.»

اقترب منها وراح يقبلها وأيقظ فيها مجدداً كل الاحاسيس السابقة. قال وهو يطبع القبلة الأخيرة:«إذا اردت شيئاً، اعلميني.»

ظهر عليها التأثر والحياء.

كرر طلبه وقال:«عديني بذلك.»

قالت:«اعدك بذلك.» ثم تابعت وهو يدير محرك السيارة وينظر إليها بعطف وحزن:«هيا اذهب ولا تعد... إذهب ولا تنظر للوراء.»

www.liilas.com
مذاري

الفصل الثالث

شعورها بالهجران، جعل بترا تنظر الى كين نظرة طويلة، ثم أجهشت بالبكاء. فتحت الباب وركضت للداخل وكادت تصطدم بعمتها. صعدت الى غرفتها وانهمرت دموعها بقوة كالمطر الذي كان يتساقط في الخارج.

قالت عمتها وقد وقفت الى جانبها: «ماذا حدث يا عزيزتي، بترا يا حبيبتي أجيبيني؟» وبدا القلق على وجه العمة.

لم تكن بترا تريد ان تخبرها بما حدث. واتكأت على كتف عمتها، وكل ما أرادته ان تجد مكانا تختبيء فيه لتموت. لكن حتى هذا لم تستطع تحقيقه. كان عليها ان تعيش في هذا العذاب المعنوي في قلبها ما تبقى من حياتها. مسحت الدموع عن عينيها، اجابت وهي تجهش بالبكاء: «انا صغيرة، أعلم ذلك، ولكن...»

اجابت عمتها: «أوه ياحبيبتي.» وضمتها إليها بحنان الأم.

بكت على كتف عمتها حتى جفت دموعها، وكأنها طفل صغير.

قالت عمتها مواسية: «هذه ليست نهاية العالم.

اعلم ان الأمر يؤلم. لكن سوف تتحسن الأمور، لا عليك...»

اخيراً توقفت عن البكاء، لكنها لم تتوقف عن التنهد والإرتجاف.

ضمتها عمتها قائلة: «هذا افضل يا طفلتي المسكينة. ادخلي واستحمي ثم انزلي وسأحضر لك فنجانا من الشاي. هل تريدين اخباري ما الأمر؟»

قالت بترا: «انتهى الأمر. هذا كل شيء.»

قالت العمة: «سوف تشعرين انك افضل غداً. هيا إذهبي الى الحمام.»

استطاعت بترا تمضية باقي اليوم بطريقة افضل، حتى انها اجبرت نفسها على تناول العشاء مع عمتها وعمها. كان عمها لورنس ينظر إليها لكنه لم يقل شيئاً. وتناول عشاءه من دون الكثير من الكلام. وبعد العشاء خرج.

صعدت الى غرفة نومها، ورفضت تناول المهدىء الذي اقترحت عمتها عليها تناوله. كانت لا تزال مستيقظة عندما عاد العم لورنس الى المنزل متأخراً تلك الليلة، وعندما استغرقت في النوم انتابتها الكوابيس. حلمت بكين وبالساعة التي قضتها معه.

* * *

عندما استفاقت في اليوم التالي كانت السماء لا

www.liilas.com

تزال تمطر، اصيبت بصداع وشعرت بالغضب والألم والحزن.
عند تناول طعام الإفطار قالت عمتها:«يوم أحد ممطر ونحن نحتاجه. فالحديقة جفت وكنت سأسقيها لو لم تمطر. والآن ماذا سنفعل؟»
كانت بترا تعلم انها صدمتهما وخيبت ظنهما بتصرفها غير اللائق.
قال العم لورنس:«سنذهب انا وانت الى آل دونالدسن.»
قالت العمة كايث:«أوه، لقد نسيت، طبعاً. هل ستكونين بخير بمفردك يا عزيزتي؟»
اجابت بترا:«نعم، سأكون بخير.»
اصطنعت ابتسامة وقالت:«آسفة، لقد تصرفت بحماقة.»
لكنها ستكون بمفردها من الآن فصاعداً، ومن الافضل ان تعتاد على ذلك. لكن ما ان خرجا ولم يمض اكثر من عشرين دقيقة على ذهابهما، حتى قرع الباب. حاولت ألا تجيب، لكن عندما قرع ثانية غيرت رأيها، أملت ان يكون وجهها مرتاحا ولا يدل عما جرى معها نهار السبت.
فتحت الباب فرأت كين يقف عند المدخل، قال بعدما رأى ترددها:«ألن تدعيني للدخول؟»
اجابت:«لماذا؟ لماذا أتيت؟ لقد قلت الامر انتهى.»

رمقها بنظرة هادئة وقال:«غيرت رأيي. وبعد ليلة هادئة، وتفكير مطول قررت ان أراجع موقفي، وكم كنت مخطئا.»
اكتسبت اساريرها لوناً جديداً، وأشارت إليه ليدخل، تساءلت لماذا يبدو هذا الرجل متوحشا في غرفة حسنة الترتيب. ومرة اخرى عندما جلسا قالت بصوت هادىء عميق:«لماذا اتيت يا كين؟»
ابتسم ابتسامة ساخرة وقال:«لأسألك ان تتزوجيني.»
علمت ان هناك شيئا ما لم يكن صحيحا لكن بدا انه يحبها. هذا ما تأكدت منه الآن في طريقة سؤاله. كان هذا اكثر من كاف لتعلن استسلامها وموافقتها. قالت:«أليس المفروض ان تقبلني عندما تسألني الزواج منك؟»
طوقها بذراعيه وأطلق ضحكة عميقة، وأخذ يقبلها. استجابت لقبلاته على الفور من دون تردد، وتناست مخاوفها وكل شيء آخر ولم يبق إلا عاطفة حبها له والحاجة إليه. قالت:«كنت اعلم انك لن تتركني، كين احبك من اعماق قلبي.»
رمقها بنظرة باردة اخترقت اعماقها. قال:«أتحبينني فعلا يا أميرة؟ أمل ان تحبيني.»

* * *

بعد مرور شهر تزوجا بعد ان أقاما حفلة صغيرة

www.liilas.com

للأصدقاء، ثم سافرا الى تايلاند لمدة ثلاثة اسابيع لقضاء شهر العسل.

خلال خطبتهما القصيرة كان يقبلها باستمرار، لكنه كان يتمالك نفسه دائما، ولم يسمح للعناق ان يتطور لما هو أكثر من ذلك.

ظنت بترا انها تعرف السبب، لذا لم تتأثر كثيراً، بل اعجبت بتعقله وسيطرته على نفسه. وقبل عشرة أيام من الزواج اخبرته عن حبها له وكم تتمنى ان تنجب اطفاله، كما عبرت عن مدى سعادتها من زواجها منه.

رفع حاجبيه وابتسم، وراح يراقبها بشرود كما اعتاد ان يفعل في المدة الأخيرة، لأنه كان يبقي رغباته تحت السيطرة الكاملة. لكن احيانا كان ابتعاده عنها يضايقها وتتمنى لو يعاملها كما فعل عندما وقعت في هواه.

لكن تربية عمتها الصارمة منعتها من الإنزلاق بالمزيد من التصرفات الحمقاء الطائشة. وهي ايضا تستطيع ان تضبط تصرفاتها وستظهر له انها جديرة بأن تكون زوجة مخلصة. لكن هذه الاسابيع الماضية جعلتها تتخلى عن كل تحفظاتها، وعاشت فترة شهر العسل بسعادة لم تمر بمثلها من قبل. لكن شيئا ما ظل يضايق بترا من وقت لآخر، فهي اعترفت له بحبها

عدة مرات، لكنه لم يبادلها ذلك الإعتراف. لم تستطع انتزاع ذلك منه حتى الآن، رغم كل الجهود التي بذلتها لإرضائه. ظل يمارس ضبط النفس في أكثر الاوقات. وذلك رسم علامة استفهام في فكرها.

لا زالت تذكر تماماً ليلة زفافها، حيث اندفع دون تحفظ مطلقا العنان لعواطفه تقوده حيث تشاء. لقد افتقدت هذه الحرارة. جزء منه ظل حبيسا داخله بعيداً عنها ولا تستطيع اختراقه. وعندما واجهته بتلك الحقيقة، ضمها إليه وحاول تبديد كافة شكوكها ومخاوفها. لقد عاملها كفتاة راشدة، ناقش الأمور معها، وطلب منها استعمال عقلها اكثر من احاسيسها وعاطفتها.

كانت تستجيب لكلامه، قبلاته وعواطفه وتندفع نحوه من دون تردد ومن دون السيطرة على أحاسيسها وانفعالاتها. ربما لو كان لديها شيء من الانضباط لاحترمها اكثر ولكان اعتبرها اكثر من مجرد لعبة يلهو بها ومن يدري ربما يحطمها فيما بعد.

لاحظت عندما اقتربت بهما الطائرة من مطار اوكلاند، ان الزواج يحتاج لأكثر من العواطف والأحاسيس، ولفترات تعقل ورزانة وحكمة وهدوء اكثر مما ابدته حتى الآن. ولا بد من بعض

www.liilas.com

التعديلات. ربما كان كين بعيداً عنها في افكاره. لكن لديها كل الوقت لتكتشف كل نقاط شخصيته ولتكتسب احترامه.

ادركت ان الحياة الزوجية مثيرة كما تخيلتها، وأصبحت ترافق عمتها في العديد من المناسبات الإجتماعية. بدت أكثر انفتاحا على المجتمع وقد اكتسبت لقب سيدة متزوجة. وتراوحت تلك الاجتماعات ما بين المملة والمثيرة. لكن الليل كان مخصصا لكين لا يشاركها فيه أحد.

كانت تزداد حبا وتعلقا به كل يوم. وافق معها ان تمارس دور ست البيت، وتساعد المرأة التي كان يستخدمها لإدارة شؤون منزله. لكنه اقنعها بضرورة اخذ دورس في الطبخ والتدبير المنزلي اولا. فالتحقت بمعهد للمبتدئات، وراحت تساعد السيدة ساندرس مديرة المنزل في إعداد الاطباق.

بعد شهرين من زواجهما، عاد كين في احد الايام الى المنزل قبل أوان رجوعه على حين غفلة متجهم الوجه.

انتاب باترا القلق، سألت:«ما الأمر؟»

قال:«لقد تسلمت فاتورة خدماتك.»

قالت:«لا أفهم ما الذي تعنيه؟»

قال:«اعتقد انك تفهمين ما الذي اعنيه يا أميرة.

لقد امضيت الساعة الاخيرة مع زوج عمتك الذي افهمني أني مدين له بمبلغ كبير ولك انت ايضا، لأضعه في مصنع المفروشات الذي يديره خلال الخمسة عشر سنة الماضية.»

شعرت بالخوف من البرودة والنقمة التي تحدث بها عن الأمر، لكنها قالت:«لا أدري عما تتكلم، لا أفهم شيئا.»

ابتسم لها وقال بخبث:«احقاً؟ هيا يا بترا، لست غبية لهذه الدرجة. لقد لعبت دورك باتقان، ولا يمكن إلا ان تعرفي ما كان يدور بالخفاء.»

داخلها شعور بالخوف والرعب، وراحت تبحث في وجهه عن المزيد من المعلومات، كان وجهه جامدا قاسيا كالحجر. شعرت بجفاف فمها وقالت:«صدقا، لا اعرف عما تتكلم عنه.»

نظر اليها باردراء وقال:«دعيني إذن انشط ذاكرتك. لقد أدرك عمك لورنس انه في ضائقة مالية، ولن ينقذه منها إلا مبلغ سيولة ضخم ليبقي المصنع يعمل. وكان مدراء البنوك قد رفضوا اعطاءه القرض البالغ مليون دولار، او ما شابه، لأنهم كانوا يدركون ما الذي ستؤول إليه الأمور وذلك قادم وحتمي. خصوصا وقد شاع في عالم المال أنه مدير فاشل. هل قلت شيئا؟»

هزت رأسها نافية.

www.liilas.com

أكمل بلهجته اللئيمة الساخرة:«وتطلع حوله ليجد المخرج ويحصل على المال، وهناك اعترف أني كنت غبيا لدرجة أنني وقعت في خطته، لأتقرب منك، وأجدك جذابة وفاتنة. كنت طعما شهيا ايتها الأميرة. أليس كذلك؟ كان لدي شكوك، وتخيلت أنها قد تكون مزعجة بالنسبة لك.»

قالت بترا:«كلا. لم يكن الأمر كذلك.»

قال:«لا تحاولي ان تكذبي لتخلصي نفسك. لقد أوضح لي دون مواربة، انك وراء اللعبة كلها من بدايتها حتى النهاية.»

شعرت بالألم الشديد من هذا الإتهام الذي قاله عمها لورنس لزوجها، حاولت ان تمسك بذراعه.

ابعدها بعنف وقال:«لا تلمسيني. كان علي ان اشك بالأمر، لكنك كنت ذكية كفاية لتخدعيني، ايتها المرأة الحقيرة. وعندما لم اجد طريقة للخلاص سوى الزواج، رضيت بالأمر. قمت انت بالدور المطلوب منك على خير ما يرام. لقد اغويتني، وأوقعتني في حبائلك، بالمكر الانثوي المعروف. ثم عدت الى المنزل، وأخبرت عمك المحبوب بما حصل، والذي أراد غسل الشرف الرفيع بإطلاق الرصاص علي.»

لم يخدعه مظهرها المتفاجىء بما قاله، أكمل ببرود وبلهجة ساخطة:«ومن الإنصاف القول، انه أذكى

مما اعتقدت، استغل تمسكي بالشرف واختار الرجل المناسب لك وأقنعني بسهولة. كان الأمر كمن يقضي الوقت مع فتاة ماكرة لها خبرة محنكة. وقد غضبت منه ومنك، لكن مشاعري قادتني الى حيث لا أريد، بل الى حيث يريد هو. وقال إنك لم تكوني أكثر من قطة صغيرة تلعب بكرة من الصوف، وان علي ان اتزوجك. لرد الاعتبار لك وله.»

حاولت الكلام لكنها لم تستطع التفوه بكلمة، ولا هو قبل ان يسمع، أكمل هجومه قائلاً:«كانت خطة ذكية دون شك. لقد نال هو المليون دولار، ونلت انت زوجا تقضين وقتك معه.» ثم تابع ببرود وتعالي واحتقار:«وبذلك تستطيع عمتك ان ترتاح الآن، لأنك لن تتبعي خطى أمك التي لوثت سمعة العائلة.»

شعرت بكلماته تكاد تخنقها، انه يعتقد بما يشبه الجزم انها تتبع خطى والدتها. وقفت أمامه وقد تملكها الرعب وخيبة الأمل، من كلامه عن والدتها غير المشرف، وخطة عمها لورنس الدنيئة، والحب الذي أرادته صادقا خالصا ليفسره على أنه خطة محكمة للإيقاع به.

أكمل كين هجومه قائلاً:«لا بد انك اعتقدتني احمق ومغفلا. وهو ما انا عليه لوقوعي في هذا الفخ. لقد افتتنت بجمالك وصغر سنك، واحتياكك انت وعمك لورنس.»

www.liilas.com

حاولت جهدها الدفاع عن نفسها، قالت:«كيف تجرؤ على قول ذلك...؟»

قال:«وكيف تصفين رجلاً رضي أن يبيع قريبته لرجل يحتقره ولا يحترمه، ليبقي على مصلحته.»

قالت:«عمي لورنس لا يمكن ان...» وتجمدت الكلمات على شفتيها، تذكرت الكلمات التي قالها عندما كان يتكلم مع عمتها، حين استرقت السمع لتعرف ما يدور بينهما. راحت تفرك يديها من الألم والغضب.

قال متابعاً هجومه:«نعم، أنت امرأة سيئة تضع شباكها حول الصيد الأثمن.»

راعها ما قاله وفاض الدم من وجهها. لقد سمعت نفس الكلام من أحد معجبين أمها، وتذكرت دموع والدتها تنساب على خديها في محاولة للدفاع عن نفسها.

استمدت قوة من تلك الذكرى وقالت:«إذا كان هذا رأيك، لم يعد هناك ما يستوجب قوله.»

قال:«هذا صحيح، ولكن هناك أمراً واحداً، لا اريد رؤيتك هنا. اخرجي في الحال، وحاذري ان أراك ثانية هنا.»

الفصل الرابع

جلست بترا مع مجموعة من النساء المهتمات بشؤون الطفولة، التي ترأسها السيدة براكنيل، والتي كانت تبتسم للحاضرات.

قالت السيدة براكنيل:«شكراً يا آنسة ستانهوب، لتقريرك المفصّل عن اوضاعنا المالية، واقتراحاتك للسنة المقبلة.» ورمقت امرأة ثرثارة بنظرة صارمة لتسكتها. والتي بدورها فهمت ما تعنيه تلك النظرة.

اكملت السيدة براكنيل كلامها:«اعرف ان العاملين في مؤسسة رعاية الأطفال، قد وجدوا ان العمل أصبح أسهل بكثير منذ انضمام الآنسة ستانهوب الى المؤسسة. وقبل وصول بترا للجمعية كنا مجموعة هواة تقوم بعمل إنساني. لكن الآن أصبح الوضع افضل بكثير عما كان عليه منذ ثلاث سنوات. لقد انضممت إلينا، ووضعت الأسس والقوانين التي نهتدي بها اليوم وبدأنا نلمس النتائج. ووضعت لنا خطة مستقبلية، نستطيع ان نحقق كل أهدافنا عن طريقها، ألا وهو إرساء دعائم مؤسسة تقوم على أسس ثابتة، وقادرة على مساعدة الطفل، والأهل بنفس الوقت. وحاليا تساعد المؤسسة

www.liilas.com

الاطفال الذين يساء معاملتهم، لكن سنقوم عما قريب بمساعدة الأهل غير المؤهلين، وغير المدربين على رعاية أطفالهم بالطرق الصحيحة.»

صفق لها الحاضرون.

تطلعت بترا من حولها للحاضرات في ارجاء المطعم، وراحت تبتسم لهن، ثم بدأت الرئيسة كلامها مجددا مما منع النسوة عن تبادل الأحاديث الجانبية. وأحست بترا بألم في رأسها مؤذنا بصداع. كان هذا الغداء من الأمور المزعجة بالنسبة إليها. وأخفت ضيقها وانزعاجها تحت ستار من الابتسامات، ودفنت افكارها وعواطفها عميقا. ولم يكن مطلوبا منها ان تتكلم في كل غداء.

كان هذا الاجتماع نصف السنوي، لمختلف افراء الجمعية. وكان مناسبة اجتماعية اكثر منها عملية. وهذا ما فسر وجودهن في المطعم الفاخر.

انهت السيدة براكنيل كلامها، وجلست قرب بترا وقالت:«من المؤسف ان كايث ليست موجودة. لكن آمل ان تكون هي ولورنس يستمتعان برحلتهما البحرية على متن السفينة السياحية.»

قالت بترا:«وصلتني رسالة منها نهار أمس وقد ارسلت من ساموا وتقول انها تمضي وقتا ممتعا، على الرغم من سوء الهضم الذي يعاني منه العم لورنس.»

اجابت السيدة براكنيل:«ثلاثة اسابيع اخرى، وسيكون كل شيء على ما يرام. كان لورنس يبدو متعبا في الفترة الأخيرة. انا متأكدة ان العمل أصبح يفوق طاقته. لماذا لا يسلمه لشخص آخر؟»

ارتجفت بترا قليلاً وقالت:«اعتقد انه يفضل ان يبقى منهمكا بالعمل.»

ابتسمت السيدة براكنيل وربتت على يد بترا وقالت:«لم لا يسلمك المهمة، وقد تدربت على القيام بها جيدا.» قالت ذلك بسبب صداقتها القديمة مع العائلة. وأضافت:«انت تقومين بعمل رائع معنا. لقد نقلت المؤسسة الى عتبة القرن الواحد العشرين بعدما كانت في حالة يرثى لها. لم يعد لديك الكثير لتقومي به هنا، أليس كذلك؟ آوه، سنكون ممتنين لك جدا لو بقيت معنا لفترة اطول، لكن يبدو عليك وكأنك تتوقعين تحديا جديدا يشغلك. والمكان المنطقي لك هو مؤسسة ستانهوب.»

لم تتغير ملامح وجه بترا، وهي تسمع كلام الرئيسة، لكن مسحة سخرية ظهرت في عينيها. كان من المستحيل منع السيدة براكنيل من التدخل في خصوصياتها، او إخفاء أي شيء عنها.

قالت وقد اخفت ما يعتمل داخلها تحت ابتسامتها

www.liilas.com

الهادئة:«انت تعرفين عمي لورنس. لم يعتد ان يرى النساء يتسلمن مقاليد الأمور في مركز المسؤولية، عداك عن مركز القوة.»

أصدرت المرأة الأكبر سناً صوتاً وقالت:«إذن حان الوقت له، لكي يتعلم. خسارة، لديك شهادة جامعية بالتجارة وتحسنين العمل بها.» توقفت ثم اضافت:«مسكين لورنس، لم يكن ابدا رجل اعمال ناجح. وحان الوقت لكي يتنحى.»

قالت بترا:«هذه الرحلة البحرية قد تكون البداية، هذه أول مرة يرضى فيها الإبتعاد عن عمله ولمدة ثلاثة اسابيع كاملة، وقد رضي ان يستجيب لعمتي كايت للبقاء بعيدا لاكثر من ثلاثة اسابيع.»

قالت السيدة براكنيل:«آمل ان يقتنع. هل ستذهبين لحفل السباق في نهاية الاسبوع؟»

اجابت بترا:«لم أخطط لذلك.»

قالت السيدة براكنيل:«لكنك ستذهبين، سيتواجد الكثير من النساء، وكلهن سوف يستعرضن ملابسهن الجديدة. لقد ربحنا الجائزة السنة الماضية وكانت مبلغا محترما، ساعدنا على إداء الكثير من مهماتنا.»

تنهدت بترا مستسلمة. كم كرهت ان يتطلع إليها الناس، والكاميرات تصور، لكن المرأة الاكبر منها سنا كانت محقة. لقد ساهمت حركتها بمد

المؤسسة بمبلغ كبير كانت بأمس الحاجة له. تنهدت وعرفت ان الرفض ليس واردا وأن الحضور لا مفر منه، وقالت:«حسنا، لا بأس.»

اجابت السيدة براكنيل:«يا للفتاة العاقلة.»

رمقتها بنظرة عميقة، جعلتها تتراجع قليلاً. واستمر الغداء، وزادت آلام الصداع في رأس بترا. لكن قبل نهاية الحفل، تمتمت ببضع عبارات اعتذار وانسحبت الى غرفة المعاطف، حيث نعمت ببعض الهواء البارد النقي.

كانت المرايا متوافرة، بحيث كان بإمكان أي امرأة ان تصلح زينتها بالكامل هناك. وبكوب ماء بارد في يدها، راحت تتجول في ارجاء القاعة. وفي زاوية منفصلة عن باقي القاعة وجدت أريكة وكرسيين بمسند لليدين. فجلست على الأريكة وأخذت تبحث عن دواء في داخل حقيبتها ليخفف الصداع. أرادت تخفيف الألم لأنها وديفيد سوف يتوجهان للمسرح تلك الليلة.

أغمضت عينيها وأراحت جسمها، وعنقها على المقعد، ويديها في حضنها. وأصابعها المطلية باللون الزهري تنضح بالصحة والحيوية. ولا ترتدي سوى خاتم آل ستانهوب الذي ورثته عن جدتها في يدها اليمنى. كانت قد تخلت عن خاتم الزواج، عندما تركها كين. زواجها كان مهانة

www.liilas.com

ومذلة وكان لديها من الكبرياء وعزة النفس ما جعلها ترفض ذلك. تعلمت ألا تخنق ذكرياتها. فلو فعلت ستراها مجدداً في احلامها. لذا جلست بهدوء، بينما مكيف الهواء يبث الهواء البارد المنعش، وفمها ينطبق بعزم وإصرار. اخذ الألم يتراجع شيئاً فشيئاً. كانت على وشك النهوض والعودة للقاعة، عندما صفق باب القاعة بقوة، وتعالت اصوات الضحك، ورائحة عطر بالتأكيد متبعثة من امرأتين.

«يا لها من سيدة سيئة السمعة.»

كانت هذه تريسي بورتر زوجة تاجر ثري يعمل بالكومبيوتر. والتي كانت ترى في العمل الخيري مدخلا للحياة الاجتماعية. ولا عجب ان لقبوها بالأميرة الجامدة. وفتحت بترا جفناها، وكانت على وشك النهوض على قدميها عندما قالت المرأة الأخرى:«انها خدعة ذكية بالتلاعب بالألفاظ. أليس كذلك؟ اسم بترا يعني الحجارة او الصخور، أليس كذلك؟»

اجابت المرأة الاخرى، تريسي بورتر:«سمعت أمس انها كانت متزوجة، ولم أكن اتصور ان لديها الجمال الذي يجذب الرجال إليها.»

لم يعد هناك مجال للخروج دون إثارة فضيحة، وحاولت ألا تسمع ما تقولاه، لكن يبدو انهما

لم ينتبها ان هناك احداً، لذا ارتفعت اصواتهما.

«هذا يبعدها عن الرجال بحق.»

قالت المرأة الاخرى:«وماذا عن ديفيد كاري؟»

اجابت المرأة الاخرى:«انا لا أقول انهما غير ملائمين. لكن يبدو انهما صديقان أكثر منهما حبيبان.»

قالت المرأة الثانية:«لكن ماذا عن زوجها السابق؟ كيف كان يبدو؟»

جلست بترا وقد جمدها الغضب وقلة الذوق التي ابدتهما المرأتان تجاهها. المرأة الثانية كانت زوجة جوني دونالدس وهي أصغر بسنتين من بترا. وحتى تلك اللحظة كانتا صديقتين.

«أوه كين. كان رائعاً، وسيماً، طويلاً، اسمر، مزاجي، كل ما فيه ينطق رجولة. وفيه شيء يجذب إليه النساء كالمغنطيس. كان حبيب جاين روستر قبل ان يقابل بترا. وعندما هجرها كادت تموت حزنا عليه. وحتى بعدما تزوج لا تزال جان تتنهد عندما تفكر فيه. قالت لي ذات مرة انه اروع حبيب صادفته في حياتها.» قالت ذلك ببطء وكأنها سعيدة بما تقوله.

مما جعل تريسي تنفجر بالضحك الشديد وتقول:«ومن يكون هذا الرجل الإستثنائي، هذه الجوهرة؟ أين هو؟ هل يمكن ان أصل إليه؟»

www.liilas.com

حاولت بترا ان تسد أذنيها جيداً لكي لا تسمع، لكن اخفقت فقد ظل الصوت مسموعا.

قالت صوفي دونالدسن:«إنه كين فليمنغ. لقد انفصلا بعد شهر من زواجهما. ولا احد يعرف لماذا. فبترا لا تتحدث عن الموضوع وكين غادر الى اميركا، ووجد مؤسسة تتعاطى بالكومبيوتر، والمخترع لا يعرف كيف يسوق اختراعه، فراح يقطف هو الثمار. اشتراه كين، وأعاده للمختبر ليقدم المزيد من الاختراعات وليحسن اختراعه الجديد المذهل. وأصبحت المؤسسة ناجحة جدا.»

قالت تريسي:«المليونير المشهور؟.»

عاد لبترا صداعها اقوى مما كان، وكان آخر ما ارادته ان تعرف المرأتان انها سمعت ما قالتاه. كان عليها ان تبقى حيث هي الى ان تخرجا من الغرفة. عندما جاءت العديد من النسوة، اختلطت بهن وأفلحت في الإختفاء بينهن والهرب بعيدا.

في المكتب تغلبت على الصداع، وأنجزت بعض الأعمال، وعادت الى المنزل متعبة ومتجهمة. تساءلت ما الذي وجده كين فيها ليقترب منها ويجعله يتزوج بها لاحقا. لقد كان ساذجة حقا. إنه يكبرها بعشر سنوات. لقد لاحظت تحفظه معها، وممارسته لضبط النفس. ترى هل عرف

شيئاً عن أمها وأجرى مقارنة بينهما؟ ايمكن له ان يحكم عليها بذنب ارتكبته والدتها؟ لكنها كانت غارقة في حبه حيث غضت النظر عن الاشياء الاخرى. وما ان اكتشف وجه الشبه بينهما حتى اغتنم أول فرصة لينهي زواجهما.

كانت العمة كايث على حق، عندما اخبرتها ان الرجال يفضلون المرأة التي يصعب الوصول إليها، لا تلك التي تستسلم لدى أول فرصة. كان على بترا ان تعرف كيف هي رد فعل الرجال لدى إظهار اعجابهن. لقد احرجت امها كل من حولها بطباعها، ودموعها، وعلاقاتها المفضوحة التي أصبحت مادة التسلية في المجتمع آنذاك. وعندما يذكر إسم آن ستانهوب، لا يتمالك الرجال انفسهن من الإبتسام والسخرية، وهو ما كان يسقم بترا ويجعلها تذوب حياء وخجلا. ووصل الأمر إليها الآن. فقد كان الرجال يحاولون ولو خلسة، جس النبض فيما إذا كانت صيدا سهلا مثل أمها.

افلتت شعرها وهزته قليلا لتريحه. ونظرت بتقزز لجسدها النحيل، حتى بعد السنوات الطويلة كانت تتوق لكين وتتمنى لو يعود. هذه الأفكار جعلتها تحس بطعم المرارة.

اما بالنسبة للقرض الذي سبب كل هذا النزاع بينها وبينه، واتخذه ذريعة ليتخلص منها وبعد ان

www.liilas.com

غادر كين الى اميركا، كانت تعاني من الصدمة والألم، سألت عمها لورنس عن القرض، وماذا حدث.

كان جوابه أن أصر على ان يتزوجها كين، ويقدم له القرض، وأنه العمل الصائب الوحيد الذي يفعله لتصحيح خطئه بعد الإيقاع بها.

قالت بترا:«لكنك لم تعلم.»

قال:«عمتك كانت تعلم.»

قالت:«وماذا عن المال؟»

قال:«تبا على ذلك الرجل، لم يكن عليه ان يشوش ذهنك بهذا الأمر.»

قالت بإصرار:«هل اقترضت منه المال؟»

راعه إصرارها، وحدجها بنظرة حادة، لم يكن يريد ان تتعب النساء افكارها بالأمور المالية.

قال بعد تردد وهو يتجه نحو النافذة:«نعم، طلبت منه قرضا، وأعطاه لي، ولكن كان قرضا للوصول لقرض آخر، فقد اقترضت من مصرف آخر.»

قالت:«لكنه قال انني على علم بما كنت تفعله، وأننا تآمرنا سويا.»

تمتم عدة شتائم في سره، ثم قال:«لا تزعجي نفسك بهذه الأمور يا بترا. ستنسين أمره وتتعافين من الصدمة، وتصبح هذه ذكرى سيئة. اعتقدت انك وعمتك ستذهبان الى انكلترا...»

قالت:«هل اخبرته بأني على علم بما كنت تخطط له، يا عمي لورنس؟»

اجاب بصوت حانق:«ولماذا اخبره بذلك؟»

اجابت في داخلها:صحيح لماذا؟ إذا كين كذب عليها، فإذا كان القرض هو سبب هجره لها، وأنه افترض انها شريكة بالمؤامرة، وعندما يكتشف خطأه يمكنه ان يعود إليها، لو كان يحبها، لكنه لا يحبها ولم يحبها إطلاقا.

إذن استعمل هذا العذر ليتركها، وهذا ما اصابها بالنفور والاشمئزاز والكراهية. محاولة جيدة يا كين، لكنها لم تنجح. لقد احست انه يبتعد عنها، لكنها لم تكن تعرف كيف تتعامل مع الأمر. وانتهى الأمر بقطع علاقته بها بطريقة فظة قاسية.

لكن نقطة ضعفها كانت تجاه رجل واحد. تعلمت درسها، انها سيدة نفسها الآن. لا رجل سيحصل عليها بسهولة كما حصل في السابق. وخلال السنوات الثماني الماضية، بنيت جدرانا عالية حولها وعزلت نفسها عن الآخرين تماما، فيما يختص بالعلاقات العاطفية.

استحمت، وطردت من مخيلتها كين والاخطاء التي ارتكبتها معه. الأمر المهم الآن، هو ان تقنع العم لورنس ان تعمل معه او لوحدها لإدارة مؤسسة ستانهوب المحدودة، وتعيش حياة مليئة بالعمل

www.liilas.com

المثمر، وتستمتع بصداقة ديفيد كاري، وإمكانية الاعتماد على هذا الصداقة، ليس كحبيب ولا حتى لبعض الوقت.

الفصل الخامس

حمل العيد معه طقساً جميلاً مشمساً، يصلح لإحتفال السباق. كانت الحرارة معتدلة وصيفية. ارتدت بترا ثيابا تناسب الطقس، ولم تكن جديدة، ولكنها كانت من المفضلة لديها لترتديها. تمنت ألا تشتد الحرارة أكثر حتى لا تشعر بالضيق من الثياب التي ارتدتها المناسبة.

قالت تحدث نفسها، الدرع جاهز للحماية، وبما ان ديفيد كان يمضي عطلة نهاية الاسبوع في اوستراليا، فقد ذهبت لوحدها. كانت تعرف الجميع هناك، وخلال دقائق كانت منهمكة برد التحيات للمعارف والاصدقاء، وتتبادل معهم الحديث، حتى انها جاملت تريسي بورتر وزوجها الضخم. وخلف قناع التبرج والثياب والأخلاق والتهذيب، كان يكمن بترا الغاضبة، الحانقة، الثائرة، المجروحة. وبرغم كل ما قالته تريسي بورتر عنها، اعتبرتها امرأة غبية وستقع في شر اعمالها يوما ما.

شعرت بترا بالملل ينتابها سريعا، من الجمهور الذي يتكلم بصوت مرتفع، ومن النساء اللواتي جئن ليعرضن ثيابهن ومجوهراتهن. جاهدت كي لا تفسد عليها جو الاحتفال. اصبح الملل جزءا من

www.liilas.com

حياتها اليومية. بالتأكيد لم تكن مدلة لهذا الحد، لكي لا تجد تحديات تواجهها وتشغل وقتها، وفيما هي تبتسم وتتبادل الحديث مع معارفها، قررت ان تحزم امرها، فمؤسسة رعاية الطفولة لم تعد بحاجة اليها وقد استقام أمرها. يجب ان تجد طريقة لتعمل في مؤسسة ستانهوب للمفروشات، ولتتغلب على اعتراضات العم لورنس، وعذره ان النساء لا يصلحن للأعمال التجارية والمالية.

تفاجأت حين اختيرت لكي تنظم وتحكم صفا المتسابقين. كانت تقف أمام نظرات الجمهور والكاميرات عندما لمحت كين فليمنغ بابتسامته الساخرة، وفمه المائل وشعره الأسود، وقامته الطويلة، كان يقف بتحد وكبرياء لن تنساه. شعرت وكأن الناس والخيول، والعشب الذي جز حديثا، والزهور والأبنية تدور بها للحظات. شحب وجهها وارتجفت جفونها، ومن حسن حظها ان الرابحة هذه المرة كانت امرأة اخرى.

لم تنظر ناحية كين. لكن بعد ان اعلن عن الفائزة حاولت ان تسترق النظر الى حيث كان يقف، لكنه اختفى عن الانظار. اطلقت تنهيدة ارتياح.

ابتعدت عن مكانها، وفيما هي تسير عائدة الى منزلها، اصطدمت بتريسي بورتر التي علقت بقولها: «تبدين وكأنك اصبت بصدمة.»

اجابت بترا: «ينتابني صداع حاد.»

قالت تريسي محاولة إظهار تعاطف مزيف: «يا لحظك السيء.»

قالت بترا: «أليس كذلك؟» كان هناك نوع من السخرية في ردها على تريسي. وأضافت: «سوف أذهب الى المنزل.»

قالت تريسي: «من المؤسف تفويت الحفل، سأعطيك بعض المسكنات، لدي البعض منها في حقيبتي، وتناولي فنجانا من الشاي قد يزول الألم.»

لامت بترا نفسها لشكها بالمرأة التي ربما حاولت ان تكون لطيفة معها. وأظهرت لها ابتسامة باهتة وقالت: «كلا شكرا لك، لكني سأغادر يا تريسي.» وغادرت متوجهة نحو موقف السيارات، لكن صوتا من الخلف ناداها.

سمعت صوت كين قائلا: «بترا.» ثم تابع: «لقد رأيتني.» كان صوته هادئا كالعادة، وواثقا من نفسه.

اخذت نفساً عميقاً واستدارت لتواجهه، محاولة إخفاء ما تفكر به. اجابت: «اعتقد ذلك. لكن عندما نظرت ثانية كنت قد اختفيت. لذا اعتقدت اني ربما أكون مخطئة.» رفعت رأسها بتعال وتحد.

جمدت ابتسامة كين، بدا أكثر نضجا، لكن لا زال على وسامته، وجذابا. لقد وقعت اسيرة هذه

www.liilas.com

الوسامة عندما كانت في الثامنة عشر من عمرها. لكن الآن تبدل الحال، وأصبحت اكثر نضجا وأقل استجابة لمغرياته.

قالت:«ماذا تفعل هنا؟»

اجاب:«تبدين كعمتك.»

رمقته بنظرة استنكار واحتقار قائلة:«أحقاً؟» واستدارت.

قال:«إلى أين انت ذاهبة.»

اجابت:«الى سيارتي. بدأت اشعر بالحرارة، والناس تحدق بي.»

قال:«هل يشكل ذلك إزعاجاً لك؟ لم تشعري بذلك عندما مشيت أمام الجمهور النيوزيلندي، منذ دقائق. لاحظت ان عدسات التلفزة تركز عليك باهتمام. ربما كان الحظ حليفك.»

هزت كتفيها ورفضت ان تدافع عن نفسها. فقد يفسر كلماتها بطريقة خاطئة، ان ما تقوم به هو من أجل الاطفال الايتام.

مر بالقرب منهما عائلة كاملة تتحدث بصوت مرتفع، والضحك والمرح ظهر جلياً. وحدجت المرأة كين بنظرات إعجاب.

قال:«لم تقولي شيئاً عن نفسك؟»

قالت:«كلا. في اليوم الذي تركتني فيه، قررت ألا اقدم اعذاراً لرجل ثانية. وهو قسم قررت

ان أحافظ عليه.» إبتسمت ابتسامة باهتة. رفع حاجبيه استنكاراً وقال:«لا اتذكر انك كنت تبدين اعذاراً وقتها، لا اعذار ولا تفسيرات. لقد وضبت امتعتك ورحلت.»

قالت:«لم تكن في مزاج لسماع الاعذار والتفسيرات، او تصديق أي شيء أقوله.» تابعت بهدوء:«إذن ماذا تفعل هنا؟» لم تكن بمزاجية التحدث عن آخر لقاء لهما قبل الفراق.

قال:«جئت لأراك.»

للحظات راودها الأمل، وكاد يتغلب على الهدوء الذي حاولت ان تظهره. لكنها استدركت، لقد قال انه جاء ليراها فقط.

قالت:«حقا، ولماذا؟»

اجاب ببعض من الفظاظة والوحشية:«ربما لاكتشف أي نوع من النساء اصبحت عليه.»

قالت ترد له الصاع صاعين:«والآن قد رأيت، يمكنك العودة الى اميركا، الى اسبراطوريتك.»

وصلت الى سيارتها، وحدجته بنظرة قاسية وبابتسامة باردة، لكنه بدا مصمما ألا يتركها وحالها.

وضعت المفتاح في القفل، فقال:«ماذا فعلت بنفسك؟ كنت فتاة مطيعة عندما تزوجنا. سهلة لدرجة سمحت لعمك لورنس وعمتك كايث ان

www.liilas.com

يزوجاك لرجل لا تحبينه، لكن على الأقل كان لديك بعض النار الحامية المتأججة. الآن تبدين كدمية جميلة. رأيتك تسيرين أمام أعين الجماهير دون ان يرف لك جفن. وكل هذا رميته تحت قدميك، دست على كل هذا الاهتمام بقدميك. ماذا فعلت بنفسك؟»

كان تأثير كلامه في كل وسائل دفاعها كما يفعل الأسيد بمادة الحديد.

قال بلهجة آمرة: «ادخلي سيارتك، وسوف ألحق بك الى المنزل.»

قالت: «لكن لا اريدك ان تلحق بي الى المنزل.»

قال: «لكني سألحق بك. هيا ادخلي السيارة، ولا تظهري وكأنك تفاجأت، فهذا لا يتناسب مع الصورة التي تحاولين رسمها.»

اجابت: «كين لن تأتي الى المنزل معي.»

قال بوقاحة متناهية: «وكيف ستمنعيني يا آنسة هادئة ومسيطرة؟»

قالت: «لا اعرف، لكن استطيع منعك من دخول المنزل.»

قال بثقة: «عاجلا أم آجلاً سوف تسأمين من مطاردتي لك. لذا الافضل لك ان تسمعيني، لدي ما اقوله لك. على أي حال اريد بعض المعلومات منك.»

قبل تشغيل محرك السيارة قالت: «لا أدري ما الذي تتحدث عنه!»

قال: «ستعرفين ذلك، وفي أقرب فرصة. قودي بحذر، الزحمة شديدة، والسائقون متهورون.»

قالت: «تعيش في اميركا، وتتحدث عن قيادة السيارات المتهورة؟»

قال: «طرقات اميركا مصممة للسير بشكل متهور. اما هذه فلا. هيا تقدمي يا أميرة.»

قادت سيارتها، وهي تتساءل لماذا كلمة أميرة التي استعملها للتحبيب وللتحقير، تترك مثل ذلك الأثر في نفسها؟

عندما وصلت الى المنزل وجدته بانتظارها أمام المرآب، وقد نزع سترته، وربطة عنقه. استند للحائط، وقد ظهر جسمه الرياضي الرجولي. كان قادراً على التحول من رجل مدني أنيق، الى فلاح بسيط بظرف دقائق قليلة.

تجاهلته وراحت تستعد للمواجهة المقبلة داخل المنزل. لاحظت ان سيارته الـ ب. أم. دبليو متوقفة تحت الشجرة خارج حديقة المنزل. اخذت تطرق بكعب حذائها العالي بلاط الممر وهو يلحق بها.

كان المنزل من الطراز القديم، ومؤلف من طابقين، في ضواحي الجورا، وهي منطقة سكنية جميلة وهادئة، تشرف على المحيط الهادىء

www.liilas.com

والخليج، وتشكل بداية المنطقة الشمالية الطويلة.
قال:«ألا زالت عيناك يتغير لونهما مع ما ترتدين؟»
رفعت حاجبيها دهشة وقالت:«اعتقد ذلك. لطالما يتغير لونهما.»
بهدوء اخذ المفتاح من يدها فتح الباب، ثم انحنى جانبا ليسمح لها بالدخول. مشت أمامه منتصبة القامة وكرهت وجوده معها بمفردهما.
كان المنزل محميتها، حيث يمكنها ان ترتاح فيه وجاء الآن كين فليمنح بعد غياب طويل ليعكر صفو حياتها.
قال:«يبدو المنزل تصميماً انكليزياً بحتاً. منذ متى وانت تعيشين هنا؟»
اجابت:«منذ سنتين.»
قال:«وأين سكنت قبل ذلك؟»
قالت:«مع عمتي كايث، وعمي لورنس.»
قال:«حقا! كيف استطعت التخلص منهما؟»
قالت:«بسهولة.» كانت هذه كذبة، عندما انهار زواجها، عادت الى منزل عمتها، كالحمامة المكسورة الجناح التي لتعود لحماها. عاشت هناك الى ان وجدت هذا المنزل. كان بحاجة ماسة للترميم لكنه لا يقاوم. كانت والدتها قد توفيت منذ فترة قريبة، وقد تركت لها من المال ما يكفي لشراء

المنزل. وظلّت لأسابيع مترددة في ان تمنح المال لدور الرعاية الإجتماعية او تشتري المنزل. في النهاية تبرعت بالمبلغ لأحد مختبرات الأبحاث التي كانت تقوم بدراسات عن الامراض المستعصية وطلبت قرضا من البنك لشراء المنزل. لم يكن يحتاج الكثير من المال لترميمه، إذ تركت الطابق الأرضي كما هو، واستعملت ما توفر لديها من المال لترميم الطابق العلوي. وفي هذا الوقت ظلت في منزل عمتها الى ان سمحا لها اخيرا بالعيش بمفردها في منزل مستقل.
قال كين:«ربما انت تتضجين اخيراً.» وقطب حاجبيه وهو يتأمل المنزل الكبير الواسع، والشيء الوحيد الحي كان الشجرة الضخمة في الخارج. تأمل صورة معلقة على الحائط وقال:«احب هذه الصورة الفنية، انها معبرة.»
قالت:«ماذا تريد يا كين؟»
بدا ان وجوده معها يضايقها ويشعرها بالقلق والتوتر.
اجاب:«انت تعرفين ما اريد.» لاحظ ردة فعلها فتابع:«اجلسي. عمك المحترم لم يخبرك حتى بهذا الجزء من الصفقة؟ لقد قايضك عمك بالمال الذي اقترضه مني. وأعجبني اسلوبك في الوصول الى ما تريدين، وكنت تواقة لمساعدته كما أذكر. شيء

واحد لا يمكنني ان آخذه عليك، هو ولاؤك لمن تعهدك بالتربية وتكفل بك.»

قالت:«لكن عمي لورنس قال انه غطى ذلك بقرض أخذه من البنك.»

قطب حاجبيه وقال:«لقد كذب. لقد جرّب البنوك ورفضوا ان يمنحوه القرض. حتى انا سخرت منه. لكن لأنه عمك رضيت ان اعطيه القرض. والآن استحق السداد.»

ضمت بترا يديها الباردتين الى بعضهما. أحست وكأنها تكاد تفقد الوعي. لكنه دفعها لتجلس على كرسي، وقال:«ضعي رأسك بين يديك.»

فعلت ما قاله فتوقف الدوار، لكن معدتها ظلت تؤلمها.

بحث في الخزانة، وسكب كوباً من الماء وقدمه لها وقال:«إشربيه.»

اخذت الكوب من يده وشربت، ساعدها ذلك على استعادة وعيها، وطلب منها ان تشرب الكوب كله.

قالت:«إذن تريدني ان اصدق ان عمي باعني لك لقاء القرض الذي يبلغ مليون دولار. وهو لم يسددها لك حتى الآن؟»

رمقها كين بنظرة حادة، واتبعها بضحكة هازئة قائلا:«علي ان اعترف اني معجب بك، لهذا العرض العاطفي. هيا يا بترا. لن اقع فريسة هذه العيون

الجميلة مثلما حصل منذ ثماني سنوات، لأرتكب نفس الخطأ ثانية. لقد كبرت ونضجت، ولم تعد هذه الأساليب تنفع معي. لماذا تركتك إذن؟ لقد غضبت كثيرا لأنك بعتني نفسك.»

قالت:«لم افعل. لم أكن اعرف بخطط عمي لورنس، او ان شركة ستانهوب في ورطة، هذا إذا كانت في ورطة.»

أجاب:«كانت في ورطة، ولازالت. لقد فعل ما خمنت انه سيفعله. لقد استخدم القرض ليسدد الديون الملحة، لكنه لم يفعل شيئا لينقذ المعمل من ضائقته ولا حاول ان يحسّن وضعه.»

قالت:«حتى لو كان ذلك صحيحا، لم اعلم به، ولا داعي لأن تكذب، اعرف تماما لماذا تركتني.»

قال:«حقا؟ لماذا، إذا لم يكن لهذا السبب. لو كنت أريد امرأة لكان علي ان اختارها انا، لا ان تفرض علي فرضا.»

اجابت:«اعتقد اني جعلتك تمل مني.»

اجاب:«ملت، بالكاد. إلى ان توصلت للسبب الذي كنت اعتقد انك صغيرة على هذه الألاعيب. لكني كنت مغفلا. لقد سمعت بالزيجات المدبرة، حتى اني دعيت الى بعضها. لكن الفرق ان الفريقين كانا على علم بكل ذلك. ما غاظني هو جرّي لتلك المؤامرة جرا، بواسطة رجل طماع وإمرأة مخادعة بعواطفها.»

www.liilas.com

شعرت بالحرج العميق وبنظراته المهينة تاكلها، كان كلامه جارحا ايضا.

قالت:«انا، كلا، لم يكن الأمر كذلك.»

قال:«أتنكرين ان لورنس دفعنا لذلك دفعاً، بالرغم من المبادىء والقيم الذي اؤمن بها؟»

هزت رأسها نافية وقالت:«ولكن...»

اضاف قاطعا كلامها:«وهل تنكرين انه صوّب بندقية الى رأسي طالبا مني ان اتزوجك؟»

قالت بصوت مخنوق:«كلا، اعرف انه فعل، واعترف لي بالأمر بعد ذهابك، لكن لم أخبره بما حصل بيننا. لكن العمة كايث، خمنت ما حصل.»

قال:«إحقا؟ لا بد انها عالمة نفس. لكن أجد ذلك صعبا على التصديق.»

فجأة لاح لها ضوء في ظلام اتهاماته. حدّقت فيه وقالت:«تعني انك تعتقد أني اقمت معك هذه العلاقة من أجل إجبارك على الزواج مني وحتى يستطيع عمي ان يطلب قرضا منك؟»

قال:«يبدو لي انني عندما حزمت امري على عدم مقابلتك ثانية، وكنت جادا في قراري، اندفعت لإغوائي بخبرة إمرأة لها تجارب كثيرة. ربما تعلمت فن الإغواء من والدتك، اكثر مما تودين الإعتراف به.»

قالت بعنف:«كلا.»

قال:«لقد فعلت ذلك بما فيه الكفاية يا اميرة. مهما يكن من أمر، عمك لديه حماقة ليقدمها لي. وكنت انا المغفل الكبير على استعداد للقيام بأي شيء، وأقرضته المال مع علمي انه ليس رجل اعمال جديرا بالثقة. وأنت كنت تحبيه كثيرا. وكان ذلك كافيا بالنسبة إلي. ولم يعترف انك على علم ودراية بما كان يدبره إلا بعد ان وقعنا على كل شيء.»

قالت:«كلا، لم أكن اعلم على الاطلاق.»

قال:«تبا يا بترا. على الأقل إعترفي بأنهما لم يكونا ليسمحا لي بالإقتراب منك لو لم تكن هذه خطتهما.»

قالت بترا:«لقد احببتك.»

قال:«ذلك لم يكن حبا يا بترا. كان ذلك اغواء جسدي كنت تواقة اليه، وقد وفر لك عمك رفيقا لتلعبي معه وليقتنص الفائدة بعدها. ويمكن ان يتقبل سيرة كسيرة والدتك.»

فاض الدم واللون من وجهها، وتساقطت حبات العرق البارد من جبينها وبللت ثيابها. كان عليها ان تتوقع ان تصرّفها معه قبل الزواج هو السبب الأساسي لرحيله، لكن ان يجري مقارنتها ونبش سيرة والدتها، واتهامها بأنها اخذت عنها سلوكها، فهذا الأمر الذي لا يمكن لها ان تقبله.

اضاف:«كل هذا كان يجري من دون علمي. ما

www.liilas.com

أود معرفته هو كيف سيسدد عمك دينه لي؟»
قالت بترا: «لا أعلم.» فلو كذب عمها عليها، يمكنه ان يكذب على كين. لكن لماذا يصر على انهاجزء من الخطة المؤامرة ويرفض ان يصدقها.
قال: «اعتقد انك لا تعرفين. فهو لا يحصل على المساندة من نسائه. يا للمسكين. انت وزوجته تنفقان النقود، وهو يخطط لابتزاز الآخرين.»
بلغ الغضب بترا حده الاقصى. يجب ان تطلب منه ان يغادر قبل ان تلجأ للصراخ او البكاء، كما كانت تفعل والدتها. نهضت واقفة وقالت: «انه ليس هنا، انه في رحلة عمل على متن باخرة سياحية، في المحيط الهادي». من فضلك غادر، اخرج من هنا حالا.»
قال: «لقد اختار الوقت المناسب للهرب. حسناً، سأذهب في الوقت الحاضر. بدوت للحظة تلك الفتاة التي تزوجتها. لو تأكدت من برائتك لأخذتك معي الى أميركا.»
«اجابته: «لما كنت لحقتك.»
ابتسم بخبث وقال: «قبلة واحدة كانت كافية لتلحقي بي الى أي مكان في العالم.»
صرخت: «أخرج.» وهو يودعها بضحكة عالية. بعد فترة قصيرة سمعت سيارته تبتعد. كانت لا تزال ترتجف غضبا وحزنا من تأثير كلماته.

هرعت الى الطابق العلوي وتوجهت نحو الحمام حيث نظفت اسنانها واستحمت، بعدما أزالت مساحيق التجميل عن وجهها. فوجئت انها مازالت تبدو أصغر سنا من دون مساحيق التجميل وأحست كأنها تلميذة مدرسة تقع في الحب لأول مرة من رجل جذاب وخطر.
كان يجب ان تعلم. ان الرجال الذين يتمتعون بجاذبية هم خطرون لا يصلحون ان يكونوا ازواجا. وكذلك النساء الجذابات لا يصلحن كزوجات. للمرة الالف تساءلت لماذا تزوجها كين، وللمرة الالف علمت أنه يصعب الإجابة على هذا السؤال. شعرت بمرارة الإهانات التي وجهها إليها، ولم يكن هناك من داع ليكون فظا معها هكذا. تتبعه الى أي مكان في العالم، ربما كان ذلك صحيحا. كان يشبهها بوالدتها، وكان يحتقرها لذلك. بدأت ترتجف، فارتدت ثيابا دافئة. ان الاستسلام للحزن لن يساعد ابدا. كانت مصدومة. وهذا طبيعي، ان رؤيته بعد تلك السنوات جعل رأسها يدور. وما قاله عن عمها لورنس زاد الأمور تعقيدا، وجعلها تشعر بغصة لن تزول بسهولة.
ابتعدت ووقفت امام النافذة تتأمل جمال الطبيعة في أوكلاند.
في الخارج كان احدهم يلعب التنس. لكنها كانت

www.liilas.com

مستغرقة في افكارها لدرجة لم تر ذلك. كان عليها ان تفكر فيما سوف تفعله. وأول ما خطر في بالها كان الاتصال بعمها، في مكان ما من المحيط الهادىء في ساموا، حتى تتكلم معه، لم يكن لديها أدنى فكرة عن خططه في كيفية مواجهة كين، هذا إذا كان لديه خطط. لكن لا بد لديه خطة ما للتعامل مع كين فليمنغ.

لم يكن كين من النوع الذي يتسامح في ديونه او يلغيها، خصوصا إذا كان المدين رجلا يحتقره. مسحت بترا الدموع عن خديها، وتذكرت كلام كين عندما تحدث عن عمها. كان مصمما على استعادة المال، وجعل لورنس ستانهوب يعاني الكثير، لما ألحقه به. وأخذ مصنع ستانهوب من عمها لورنس بالتأكيد سيجعله يعاني وينهار.

امسكت بسماعة الهاتف لتتحدث مع عمها، كانت قلقة من ان تزيد من قلقه ومخاوفه. حاولت جهدها التطرق للموضوع بطريقة ناعمة ولبقة. قالت:«عمي لورنس، كين فلمينغ قد عاد ويقول انه يريد ماله.»

ساد الصمت لفترة ثم قال:«ماذا؟ أي مال؟»

«المال الذي اقترضته منه. مليون دولار، هل تذكر؟»

اجاب:«لا أعلم عما تتحدثين عنه؟»

قالت:«من فضلك يا عمي لورنس انك تذكر كل شيء.»

ساد الصمت مجدداً ثم قال:«إذن انت تصدقينه ولا تصدقيني؟»

اجابت:«اخشى ان هذا ما هو عليه الأمر. ماذا ستفعل حيال ذلك؟»

قال:«لا تقلقي...»

«عمي لورنس، يجب ان اقلق. لو لم اتزوج من كين لما كان اقرضك المال. فبعض المسؤولية يقع عليّ.»

«لا تكوني حمقاء. لقد اقرضني المال، لأنه واثق من أنه سيعود إليه ذات يوم، مصنع ستانهوب، وكل شيء.»

قالت:«يبدو وكأن الأمر تحت السيطرة.»

«لو بقيت متزوجة منه، لما حصل الإشكال، لكن عندما تطلقتما، تورطت بالأمر.»

اصرّت على اسنانها للورطة التي أوقع نفسه وأوقعها بها.

قال عمها لورنس:«لا تقلقي سأتدبر الأمر. اتركي الأمر لي لأتدبره.»

اجابت:«هل تستطيع ان ترد له القرض؟»

«هذا شأني.»

قالت:«من فضلك اريد ان اعرف.»

«لا استطيع التحدث الآن عمتك في الغرفة. لا تهتمي لفليمنغ، ولا تقلقي.» وأغلق سماعة الهاتف نزلت الى المطبخ وأعدت الشاي، لكن الصداع الذي

www.liilas.com

أدعته اصبح حقيقياً الآن ومؤلم جداً. يجب ان تقوم بخطوة ما قبل ان يضيع كل شيء من يديها... اخذت حبتي مسكن للألم، وشربت الشاي واستسلمت للأفكار. وجدت نفسها تبكي وتنظف انفها اكثر من مرة. كانت الشفقة على الذات هي ما تكرهه، وتحاربه بكافة الأسلحة المتوفرة.

رأت ان عمها لورنس لم يقدر كين حق تقدير، ولا مقدار ما يلحقه من أذى به كرد انتقامي على خطته.

تساءلت ماذا سيفعل عمها؟ ليس لديه مال ليسدد الدين. لكنها شعرت انها مسؤولة معنويا عن ذلك، ويجب عليها ان تساهم بسداده بطريقة او بأخرى. اول ما تبادر الى ذهنها هو عرض منزلها للبيع، ثم سداد باقي المبلغ مما تحصله من إيرادات.

تحققت من الأقفال في الأسفل، وصعدت الى غرفة نومها واستسلمت للنوم. نامت لتستيقظ على رنين الهاتف بعد ساعة. لكن عندما رفعت السماعة لم يجبها احد مع انها كانت تسمع صوت تنفس. ثم اغلقت السماعة ليعاود الرنين مجدداً. بعد ذلك رن جرس الهاتف اربع مرات، لكنها رفضت ان تجيب، ومع ساعات الصباح الأولى استسلمت للنوم.

الفصل السادس

استفاقت بترا من نومها على صوت الهاتف المزعج يرن بإلحاح، وكأنه لم يكفيها إزعاج المساء. فإن كان نفس الرجل الذي سمعت لهاثه، يا له من مسكين تعس. كان فمها جافاً، ويدها ترتجف عندما امسكت بسماعة الهاتف.

قالت بصوت أجش: «هالو؟»

«بترا، انا تريسي بورتر. آسفة ان كنت ايقظتك وأزعجتك.»

تنفست بترا الصعداء، وعادت لترتمي على وسادتها، وهي تمسك بسماعة الهاتف، أكملت تريسي حديثها: «سنقيم شواء هذا المساء، مجرد تجمع عفوي. ونتمنى ان تكوني انت وديفيد معنا.»

اجابت بترا: «لا اعتقد انني...»

لم يكن عليها ان تفكر. فهي لن تحضر. وقبل ان تفكر بعذر اضافت تريسي: «اعلم أنه ربما كان لديك مشاريع اخرى، لكن قد يكون التجمع مفيداً لجمعية رعاية الطفولة. كاثي فيررز ستكون موجودة. انها تدعى كاثي دورانت، انت تعرفينها أليس كذلك؟»

www.liilas.com

اجابت بترا: «نعم دائمة.»
لقد درستا في نفس المدرسة وكانت سريعة الحركة. وألمحت العمة كايث لها ووصفتها بالفتاة السريعة. ولم تكن على صداقة معها. كانت كاثي حفيدة احد التجار القدامى، وقد ترك لها ميراثه الضخم لتتمتع به، وهي تصرف قسماً منه على الاعمال الخيرية.
اكملت تريسي بالقول: «ستكون فرصة رائعة للتحدث معها. وكلامك عن مؤسسة تعنى بالأزواج المقدمين على حياة الأبوة والأمومة قد يروقها، خصوصاً ما يتعلق بوسائل الإعلام وكيفية استغلالها لمصلحتنا في المؤسسة. زوجها كاتب مسرحي ونحن نحاول التواصل معها منذ فترة بعيدة كما تعلمين. وهنا يأتي دورك، انت تعرفينها.»
فسد المخطط الذي كانت تنوي فيه تمضية ذلك المساء لوحدها في المنزل، فقالت: «حسناً، سأتي. لكن ديفيد ليس متواجداً. إنه يمضي عطلته في اوستراليا. متى يجب ان اكون هناك؟»
ظهرت خيبة الأمل على تريسي في نبرة صوته، لكنها قالت: «يا للصدف. المهم، آمل ألا تكوني قد أضعت فرصة التمتع بوقتك بالحضور إلينا.»
تمتمت بترا بجواب غير واضح وغير مسموع. فهي تكره تريسي بما فيه الكفاية. لكنها ستذهب لتقابل

كاثي فيرز لتتبرع ببعض المال الذي تملكه لصالح مؤسسة رعاية الطفولة، والرعاية الاجتماعية.
امضت النهار تعمل في حديقتها، وشعرت بالارتياح لبعض الوقت، غمرها الفرح وهي ترى أزهارها ونباتاتها تزهر وتورق، وتبعث رائحة ذكية.
بقي الهاتف صامتاً طوال النهار، فعاد إليها تفاؤلها ومرحها. وعند الظهيرة لعبت كرة المضرب مع رفيقة قديمة لها، ثم بدأت تستعد لسهرة الشواء بكل هدوء.
تبرجت، وارتدت ثياباً تليق بالسهرة. لم تستمع لنصيحة تريسي المخادعة من ان اللقاء ليس رسمياً. وقد صح ما توقعته بترا.
كانت تريسي ترتدي افضل ما عندها من ملابس. هذا ما رأته بينما كانت تقودها الى الساحة التي بدت كغابة لما حوته من أشجار ونباتات. فكرت بترا، تجمع عفوي.. أهكذا تسمه وهناك ما يناهز المئة من الحضور وجميعهم يرتدون ثياباً انيقة! يا لغدرها، أرادت ان توقع بها، لكنها فضلت ان تتبع حدسها.
كانت تعرف العديد من الحاضرين والحاضرات، وأظهرت عن وجه اجتماعي مبتسم، مرح، تبتسم للوجوه وتتبادل الأحاديث مع الجميع. كان معظمهم ازواجاً مع زوجاتهم باستثناءها، حملت الشراب

www.liilas.com

بيدها وأجالت نظرها بحثاً عن كاثي. لكن لا وجود لكاثي فيررز. ثم وقفت ونظرها موجه نحو كين فليمنغ.

نعم لقد كان هناك ترافقه شابة فارعة القامة، حمراء الشعر.

شعرت وكأن سكيناً حاداً اخترق صدرها.

خطت خطوة إلى الأمام قبل ان تدرك ما فعلته، ثم تراجعت. كان خطوة غير محسوبة. رفعت الكوب واحتست محتوياته دفعة واحدة، لكن نظرها بقي مسمرا على كين، بوجهه الساكن، وابتسامته الجذابة، والمرأة التي كان ترافقه، وتضحك على كل كلمة يقولها، كأنها غير قادرة على فعل أي شيء آخر.

سمعت بترا نفسها تقول:«يا لك من غبية!»

مهما كان شعور الحب تجاه هذا الرجل، كان يجب ان يموت بسبب تضرفه الفظ المتوحش تجاهها. لكنه لا زال يؤثر فيها.

ضحكت الفتاة الحمراء الشعر، وحركت رأسها بحركة دلت على ان العلاقة بينها وبين كين اكثر من حميمة.

استدارت بترا، ونظرت لناحية اخرى، إذ لم تعد قادرة على النظر إليهما اكثر من ذلك. وتبادر الى ذهنها ان تعتذر وتغادر، لكن لا، صوت العقل قال لا. والتحقت بمجموعة تعرف افرادها جيدا، ظهرت

وكأنها تستمتع برفقتهم، رغم ان اعصابها كانت شديدة التوتر، ولا تعلم في أي لحظة تخونها.

اخيرا وبينما كانت تتساءل عن كيفية التسلل للخارج، رأت كاثي فيررز قادمة يرافقها زوجها. وما هي إلا لحظات حتى سمعت صوت تريسي من الخلف:«بالطبع لا حاجة لأن اعرفك ببترا. بترا عزيزتي...»

استدارت بترا، ورسمت ابتسامة على وجهها، وتقدمت لترحب بالضيفة المهمة، كانت تتمنى لو لم تشعر بهذا اللقاء الرخيص المهلهل.

لم يكن الثنائي كاثي فيررز وزوجها، بل كين فليمنغ وصديقته. بدا وجهه جامدا لا يدل على أي شيء.

حافظت بترا على هدوئها وقالت:«مرحباً يا كين، كيف حالك؟»

«لا بأس، وأنت؟» بالرغم من الابتسامة الساحرة التي اغدقها عليها، لم تستطع ان تعرف ما الذي يجول في فكره.

قالت تريسي:«وهذه سيمون. سيمون هذه بترا ستانهوب.» وكان في الطريقة التي تولت فيها التعريف حقد لافت، وبدت الفتاة الجميلة ضجرة، لكنها ردت بعبارة مجاملة موجهة نحو بترا. ونقلت نظرها بين المرأة الجامدة القسمات التي

www.liilas.com

أمامها، وبين تريسي الفضولية ونظراتها الحاقدة. حاولت إخفاء البهجة التي اعترتها من جراء ما كانت تفعله. وارتاعت بترا للشعور الذي انتابها، من انها تريد الإمساك بشعر الفتاة وتطوح بها لأبعد مكان تستطيع رميها إليه... قوة رد فعلها اخافتها. لقد تخلصت من عقدة كين وتطلقت منه، فلماذا إذا كل هذه المشاعر البغيضة. او انها كتب عليها ان تعيش تحت تأثيره الدائم؟ ولماذا تشعر بالغضب لمجرد رؤيته بصحبة امرأة اخرى؟

قالت تريسي دون ان توجه كلامها لأحد معين: «كين وجيرالد يفكران بإنشاء بعض الأمور التجارية القديمة مع بعضهما.» ونقلت بصرها ما بين بترا، وكين ثم تابعت: «لذا من الطبيعي ان نسأله ان يحضر الى حفلة شوائنا. كان لطفاً منك ان تأتي يا كين، خصوصاً عندما علمت ان لديك الكثير لتفعله لدى عودتك الى الديار. كم ستبقى بيننا؟»

قال بعد فترة: «هذا يتوقف على بترا.» وراح يراقبها عن كثب.

شعرت بالسرور لأن تبرجها يخفي ملامح وجهها، ابتسمت وقالت: «هراء لا تبدأ بالسخرية يا كين.»

قالت سيمون: «هل تعرفان بعضكما؟»

اجاب كين: «كنا انا وبترا متزوجين منذ سنوات مضت.»

تأملت سيمون بترا من رأسها حتى اخمص قدميها، ثم قالت: «من الواضح انك طالما احببت الجياد والثياب الجميلة.»

رغم شعورها بالغيرة التي كانت تتآكلها من الداخل، فكرت بترا انها لو صادفت سيمون في ظروف مختلفة ربما احبتها وصادقتها.

صدم كين بصراحة سيمون، وقال: «نعم، مع ان بترا لم تكن ترتدي الثياب الجميلة آنذاك عندما تزوجنا.»

قالت بترا: «الصبا يغطي على الثياب، لكن الأمور تتغير بعد الخامسة والعشرين.»

قال: «تبدين وكأنك لم تتجاوزي السادسة والعشرين.»

كانت تريسي تسمع وترى ما يجري وقد تركت باقي واجباتها الاجتماعية كي لا يفوتها شيء مما سيدور بين الاثنين.

انقذ كين الموقف قائلاً: «شكراً يا سيدة بورتر على دعوتك لنا للحفل. انا وسيمون في طريقنا للخروج.» وجه كلامه لبترا: «اتريدين ان أقلك لمكان ما؟»

اجابت بترا: «كلا، سيارتي معي.»

قال: «إذن سنرافقك إليها.»

قالت: «لا بأس.»

www.liilas.com

اعترضت تريسي: «لكن كاثي فيرز.»

اجابت بترا: «سأتصل بها هاتفيا، عمت مساء يا تريسي.»

رافقها كين الى موقف السيارات، وهناك قالت بترا: «عمت مساء.»

حدق بها، ثم عاد الى سيارته وانطلق مع سيمون.

لمحتهما بالمرآة الخلفية لثوان.

تقبلت بترا فكرة ان سيمون تناسب كين أكثر منها، وتصورت كين وهو يقبلها. حاولت ان تطرد تلك الصورة من خيالها عبثا. كانت تطاردها لتعود وتظهر من جديد.

لماذا تعود بالذاكرة الى الوراء، وقد عملت جهدها لتنسى الماضي. لن تظهر لتريسي انها غاضبة منها بسبب ما فعلته بها، رغم ان خطتها اللئيمة نجحت بعض الشيء. لم يكن لديها ادنى شك، ان تريسي الآن تختار مجموعة من النساء لتنقل لهن آخر الأخبار، وتضيف من عندها الكثير من خيالها. يا للمرأة الداهية التي لا تطيق ان ترى احدا يعيش حياته بهدوء وسلام. قد يكون بمغادرته الحفل، ونظرة التهديد التي رمقها بها بعض التأثير لتمسك لسانها لبعض الوقت، لكن حتى متى؟ فهو ليس من النوع الذي يسهل التلاعب معه دون التعرض لخدوشه.

قبل ان تلجأ الى النوم، اعدت جهاز الرد على الهاتف، حتى تتخلص من المزعج الذي اتصل بها ليلة أمس، فيما لو حاول الاتصال مجددا. وبعد ربع ساعة سمعت صوت رنين الهاتف. خفق قلبها بعنف، لكنها بقيت مكانها. الى ان توقف الرنين. اقنعت نفسها انه ربما كان صديقا لم يشأ ان يترك رسالة. لكن فكرة اخرى استحوذت عليها، أيمكن لهذا الرجل ان يكون يراقبها من النافذة؟ هل يعلم متى تذهب للفراش؟

بالرغم من صوت البديهة والعقل اخبراها انها بمأمن لكن اسغرقها اللجوء للنوم ساعات. ولم يرن جرس الهاتف مجددا. وفي الليلتين اللتين تلتا، لم يرن الهاتف، لكنها عانت من الأرق.

اسعدها ان عطلة العيد قد انتهت، فاتصلت بأحد السماسرة ليدبر لها امر بيع المنزل، كما اتصلت بالمحامي الذي كان يتكفل بإدارة الثروة التي تركها والدها، وقد استفسرت عن امكانية التصرف بالميراث.

قال المحامي: «نعم. لديك الحق والإمكانية للتصرف بالميراث كما تشائين حسب القوانين المعمول به في نيوزيلندا لأنك وريثته الوحيدة. لكن لماذا تريدين ذلك؟»

قالت بصوت هادئ: «احتاج للمال.»

www.liilas.com

قال بعد تردد:«لكن يمكنك الإقتراض بناء على الميراث.»

قالت:«كلا.»

«هل انت متأكدة؟ من الافضل لك ان...»

قالت:«كلا. لقد صممت على ذلك، ولن اتراجع.»

حاول جهده إقناعها بالتراجع، لكن في النهاية اقتنع هو ان هذا ما تريده، وقال:«حسناً، سوف يستغرق الأمر بعض الوقت.»

قالت:«كم سيستغرق؟»

قال:«اعطني مهلة شهر، فليس هناك وريث آخر.»

كان عليها أن توافق على ذلك. عندما انتهت من المكالمة، اجرت بعض الحسابات على الورق، وألقت نظرة على دفتر مواعيدها، كان هناك عدة مواعيد عمل.

يوم السبت كان موعد الاحتفال باللباس التنكري المقرر إقامته لصالح جمعية الطفولة المعذبة في المتحف. كان عليها ان تمضي اليوم بكامله لتزيين القاعات الرخامية الضخمة، استعداداً للاحتفال، وقد سمحت لهم إدارة المعرض بذلك. ولسوف يعود ديفيد كاري من عطلته في اوستراليا. لو استطاعت هي وديفيد ان يقعا في الحب بدل تلك العلاقة الأفلاطونية التي تربطهما. لكنه وفي أواسط الثلاثينات من العمر، لا يبدو أنه سيتزوج

قبل سنوات، اعترف ان السبب الوحيد الذي قد يجعله يتزوج هو ان يصبح اباً لأولاد. لكن هذا لم يعد كافياً ليثير حماسه للزواج.

قال لها ذات يوم:«ان المرأة التي أحبها مثلك، لا اريدها، والمرأة التي أريدها لا أحبها.»

قالت مبتسمة:«انت تريد الكعكة جاهزة لتأكلها.»

حرك كتفيه بلا مبالاة وقال:«ربما كان هذا الأمر صحيحاً.»

كان ذكياً وملاحاً، ويعرف متى يصمت. كانا يخرجان معاً باستمرار، وبعض الثرثارين اشاعوا عنهما بأنهما حبيبان، لم تهتم بترا بتلك الإشاعة. كانت معجبة به كثيراً، وصداقتهما ناسبتها. فقد كان ضليعاً بأمور المال والعمل.

عندما اتصل بها كان أول ما سألته هو:«ما رأيك بمؤسسة ستانهوب؟ هل تصبح نجاحاً؟» اخبرها صمته الكثير مما كانت ستعرفه لو تكلم.

ثم قال:«لماذا تسألين؟»

قالت:«اريد ان اعرف.»

تنهد وأجاب:«لا تبدو المؤسسة بخير. اصبح عمك طاعناً بالسن، ولاكن صريحاً، لم يتمتع بصفات والده إطلاقاً، انه رجل اعمال تقليدي، وكان هذا ينفع فيما مضى. لكن ليس الآن، كان يجب ان يحدث تغييراً منذ ثماني سنوات فالعمل اتخذ وجهة جديدة.»

www.liilas.com

عضت شفتها ثم قالت:«والآن، ما العمل؟»
قال:«ليستقيم الأمر، يجب ان تحدث تغييرات من اعلى الهرم حتى القاعدة. انها بحاجة لعمال جدد، مدراء جدد، ومدير عام جديد.»
قالت:«فهمت شكرا لك.»
سمعته يقول:«لا أدري لماذا لا يسلمك الإدارة، فلن تكون اسوأ خطوة قام بها.»
اطلقت ضحكة طويلة وقالت:«شكراً لثقتك بقدراتي، اشك في أني قادرة على القيام بذلك. فخبرتي لا تتناول هذا المجال. والمسألة ان عمي لورنس لا يؤمن بقدرة النساء على إدارة الأعمال. شكرا على أي حال.»
قال:«لنتعشى سوياً الليلة.»
قالت:«لا اعتقد ان رفقتي ستكون مبهجة الليلة.»
قال:«ومتى توقفنا عند هذا. سيأمر لاصطحابك عند السابعة. ارتدي شيئا جميلا.»
لاحقا اجال احد السماسرة النظر حوله وقال:«اعتقد ان الحل الافضل لك، هو ان تفتشي عن احد مطوري المشاريع. الموقع ممتاز، لكن المنزل لا يساوي الكثير. وبما ان سعر الأراضي يرتفع، اعتقد انك ستحصلين على سعر جيد.»
حين تلفظت بأحد الارقام، رمشت بعينيها مندهشة وبلعت ريقها. وأدرك السمسار. خيبة أمل بترا

فقال:«ان الشخص الذي سيشتري في ريمورا لا يريد ان يعيش في كوخ، مع ان الأمر يبدو مثيرا.»
قالت بترا:«اعلم ذلك. ضعه على لائحة المعروض للبيع.»
بعد ان وقعت الاوراق اللازمة، اخذت تتجول في المنزل وفي الحديقة، والدموع تطفر من عينيها. ستخسر هذا المنزل الذي احبته بكل جوارحها، لكن عليها ان تسدد قرض كين حتى لا تمتد مطامعه لصنع ستانهوب ليأخذه بأبخس الاسعار. وكان اخر شيء تريده هو ارتداء ملابسها والخروج، لكن البقاء بمفردها ينهشها الحزن والألم كان شعورا لا يطاق كذلك. وفكرت، ان دعوة ديفيد قائمة، لما لا تلبيها؟
عندما التقت به تأملها، ثم طبع على خدها قبلة الصداقة واللقاء. قال:«كل الأعلام مرفوعة، وهذا جيد بالنسبة اليك.»
ادركت انه عرف بعودة كين ولكنه لم يقل شيئاً. كان يحترم خصوصيتها وأسرارها، ولن يذكر الأمر إلا إذا هي فاتحته به.
قالت:«نعم.»
سألها وهما يتناولان العشاء الفاخر:«هل تودين الكلام؟»

www.liilas.com

ارتجفت وأجابت:«لا أدري ان كان هناك ما نتكلم عنه، إلا إذا وجدت لي طريقة لأستدين بها مبلغا كبيرا وبسرعة.»

قال:«كم المبلغ؟»

اخبرته بالمبلغ، صمت للحظات ثم قال:«المبلغ ضخم، ولن يوافق أي مصرف على طلب القرض هذا إلا إذا كان هناك ضمانة...»

اضافت:«كلا، انها مزحة. لا يوجد طريقة حتى لدفع الفوائد، فكيف برأس المال؟»

قال:«اعتقد ان هذا له علاقة بوصول كين فلمينغ.»

تابعت في نفسها وان للأمر علاقة بقرض استدانته مؤسسة ستانهوب قبل ثماني سنوات. قالت:«نعم هذا هو ماعليه الأمر.»

قال:«تبا، كم كنت اتمنى لو استطيع المساعدة.»

قالت وقد ملأت الدموع عينيها:«أوه يا ديفيد، لكم احبك.»

سمعت ضجيجاً، التفتت ورأت كين داخلاً المطعم برفقة سيمون. كانت نظراته متوجهة نحوها، بينما كان النادل يشير نحو طاولة ليجلسا عليها.

نقل كين بصره بينها وبين ديفيد ما جعلها تتوتر. كان يدمر سكينتها، ويجعلها تتذكر اشياء تريد ان تنساها. راح ينظر بعينين باردتين كالثلج

ويخترق القناع الذي تحاول الاختباء خلفه.

رفعت رأسها بتحد وكبرياء، وقابلت نظرته بنظرة تحد واستعلاء. همس شيئا في اذن سيمون، ثم نهض وتوجه نحوها.

قاومت الرغبة في سحب يدها من يد ديفيد.

قال ديفيد:«من يكون يا ترى؟»

قبل ان تجيب سمعت صوت كين:«مرحباً يا بترا.»

قالت بصوت خفيض:«مرحبا يا كين.»

قال مستغلا طوله وقامته وعضلاته:«من يكون صديقك هذا؟»

قالت:«إنه ديفيد كاري. ديفيد هل سبق وقابلت كين فلمينغ؟»

ترك ديفيد يدها، ونهض. لم يكن بنفس طول كين، لكنه كان يتمتع بالطلة الارستقراطية، لم يشعر بالخوف من كين، بل مد يده مصافحا.

حملق كل واحد منهما بالآخر. قال كين:«اريد ان احدثك على انفراد يا بترا.»

سألته بكبرياء:«حسنا، متى؟»

قال:«بأقرب فرصة ممكنة.»

قالت:«حسنا، اتصل بي لنحدد موعداً.»

قال:«سأفعل ذلك.»

قالت بعد ان غادر كين:«آسفة، لا أدري لماذا اقتحم عزلتنا هكذا.»

www.liilas.com

قال:«انا اعلم. لقد سمع عن الثرثرة بعلاقتنا وجاء يستطلع.»

قالت:«لا اعتقد ذلك، ليس كين من يفعل ذلك.»

ابتسم وقال:«ولمَ لا؟»

قالت:«لا داعي لذلك، اعني انه لا يفعل ذلك.»

قال ديفيد:«ما لفتني فيه أنه رجل يحب الإستحواذ.»

قالت:«ليس لديه شيء يستحق الإستحواذ، اننا مطلقان.»

قال:«ومن طلب الطلاق؟»

حركت كتفيها بعصبية وقالت:«انا طلبت الطلاق، لكنه هو الذي أراد انهاء زواجنا.»

كان ديفيد يراقبها باهتمام ضايقها، وجعلها تتوتر، فقال:«لسبب وجيه؟»

لم تتوقع من ديفيد ان يسترسل في الكلام هكذا، وينقب في أسرارها الشخصية. ما جعلها تشعر وكأنه يخونها، قالت:«هو يعتقد ذلك.»

قال ديفيد:«وهل كان على حق، اعني هل كان السبب وجيهاً؟»

عادت إليها صور الماضي، واتهامات كين لها، وموقفه العنيف الأخير منها، واتهامه لها بأنها أغوته لتجبره على الزواج، وليقرض عمها لورنس المليون دولار، وبأنها شريكة أساسية بالمؤامرة

التي دبرها ونفذها. لكن لو كان يحبها لاستمع لها بدل ان يطردها بمهانة كما فعل. لكنه لم يرض ان يسمع منها شيئاً، ونعتها بأنها سيئة كوالدتها وطردها من منزله بشكل لم يراع أدنى آداب اللياقة. لقد استغل القرض لينهي الزواج، ولم يظهر أي علامة على أنه يحبها. والواقع اعتبر عاطفتها تجاهه إهانة له وحط من قدره ومركزه. جعلها تشعر بالمهانة والألم الذي لا يفارقها كلما خطر في بالها، وديفيد يصر على نبشه.

موافقة كين على الزواج منها كان نتيجة إصرار عمها لورنس، وتهديده له بالقتل إن لم يفعل. كأي رجل عنده من الشرف ما يدفعه للدفاع عن شرفه وعائلته.

كان كين يحب التمسك بالشرف على طريقته. لذا وافق مكرهاً. لكن استكانته كانت قصيرة، لأن فضائح أمها طغت على كل شيء، مما عجل في طلاقها منه.

قال ديفيد مجدداً:«وهل تعتقدين ان كان لديه سبب وجيه ليطلب الطلاق؟»

ارتشفت بعض الشراب وتطلعت للبعيد ثم قالت:«كنا صغيرين. أعني كنت صغيرة جداً. لكن لو أحبني فعلاً، لكان اعطاني فرصة ثانية. على الأقل كان استمع إلي.»

www.liilas.com

قال ديفيد بهدوء:«أحياناً يحب المرء لدرجة أنه لا يعد بامكانه ان يسامح من يخطىء.»
ردت بعصبية:«هذا ليس حباً، بل استحواذاً. دعنا نتوقف عن الكلام بالموضوع ديفيد.»
اجاب ديفيد:«حسنا. لكني اعتقد ربما كان لديه ميل لمناقشة الأمور وتوضيحها، لو ناقشتماها معا.»
قالت:«دعنا نتكلم في أمور العمل، وليس في الأمور الخاصة.»
حين غادرا المطعم بعد ذلك، نظرت نحو كين وسيمون نظرة طويلة حاقدة اودعتها كل غضبها على الإثنين ثم اختفت عن الأنظار.
الخوف الذي عرفته في ليالي سابقة دفعها لدعوة ديفيد لتناول القهوة في منزلها.
ألقت نظرة على المجيب، فلم تجد أي إشارة حمراء، فأطلقت تنهيدة ارتياح.
سألها ديفيد من خلفها:«اتمانعين لو شغلت جهاز التلفاز؟ هناك مقابلة اريد ان أراها، وقد تعطل الجهاز لدي.»
اجابت:«لا مانع، خذ راحتك.»
عندما عادت، رأت كين وهو يحاور المذيع ويناقش بالأسباب المنطقية السديدة.
قال ديفيد:«انها مقابلة قديمة.» وأقفل الجهاز.
قالت:«أتريد ان تشاهدها؟»

اجاب:«كلا. لقد شاهدت ما فيه الكفاية من زوجك السابق. آه يبدو هذا جيداً.»
احتسيا القهوة بصمت، بالرغم من طعمها اللذيذ. لم تبرح صورة كين وسيمون خيالها، وكيف بديا منسجمين في المطعم، وأسلوبه الهجومي الذي استعمله مع دايفيد. وضعت فنجان القهوة جانبا عندما سمعت صوت الهاتف. فشعرت بمعدتها تنقبض، حدقت بالجهاز لبعض الوقت، ثم التقطت السماعة وقالت:«مرحبا.»
لم تسمع رداً لكنها كانت تسمع صوت تنفس. اصبح وجهها شاحباً وأخذت ترتجف، ركزت نظرها على ديفيد وسألت بعصبية:«من انت؟»
سألها ديفيد:«ما الأمر؟»
قالت:«سمعت نفساً عميقاً ثم اقفل الخط.»
قال ديفيد:«تباً له، لقد اقفل السماعة عندما سمع صوتك.» ثم سألها بصوت منخفض:«هل هذه المرة الأولى؟»
اخبرته بالحقيقة، فقال:«هل اتصلت بشركة الهاتف؟»
اجابت:«كلا. لم يتصل منذ ليلتين، فاعتقدت انه توقف.» لكن صوت الهاتف رن من جديد.
قفزت من مكانها ووضعت يدها على قلبها، وتسارعت نبضات قلبها.

www.liilas.com

قال ديفيد: «لا تجيبي، وتعالي معي الى منزلي. غداً اتصلي بشركة الهاتف، واطلبي منهم ان يفعلوا شيئاً لتعقب هذا الشخص. لا داعي لتبقي في المنزل، ليخيفك هذه المعتوه هكذا.»

استمر الرنين دون انقطاع. شحب وجهها، وانقبضت عضلات معدتها وهي تحدق بالهاتف. عندما لم يتوقف الرنين، رفع ديفيد السماعة وقال: «لن تجيبك.» وصفق السماعة بعنف في مكانها. قبل ان يعيد المتطفل الاتصال امسك بذراعها بقوة وقال: «احضري فرشاة اسنانك وأغراضك، وثياب الغد، وسنغادر الى منزلي.»

اطاعته بترا التي كانت ترتجف من الخوف، وتركته يقودها الى منزله لمدة عشر دقائق وهو الزمن الفاصل للوصول الى شقته. وظل يطوقها بذراعه الدافىء ليهدىء من روعها.

مشت الى جانبه صامتة. لكنها سمعت هدير محرك، وأزير عجلات تنطلق بسرعة مجنونة، فالتصقت بديفيد.

قال ديفيد: «لا بأس عليك، إنه مجرد مراهق يحب لفت الأنظار إليه.» فتح الباب ودخلا.

افتقدت دفء منزلها، لكن لا بأس ستتخلى عنه قريباً لمشتر آخر. وتجمدت الدموع في عينيها لما آل إليه حالها. وأدارت وجهها الى الوسادة

وراحت تبكي بحرارة. ثم استسلمت لنوم تقطعه الأحلام والهواجس. أحست بجفاف فمها وحلقها. وكانت تصحو كلما سمعت صوتاً في الخارج. لكن صباح اليوم التالي لم يكن الأمر بهذا السوء، فقد كان المطر يهطل بغزارة طوال الوقت الذي كان فيه ديفيد يعيدها الى المنزل. والسماء تنذر بالمزيد من المطر.

اقنعت نفسها بألا تخاف، لكن ما ان دخلت المنزل، حتى اخذت تحدق بجهاز الهاتف. الجهاز الصامت. لكن الضوء الأحمر كان يشير الى ان مكالمة قد سجلت.

قال ديفيد: «لقد شغلت جهاز الرد الآلي، عندما كنت تحضرين اغراضك، سوف أرى ما سجل فيه. اصعدي الى الاعلى، لا داعي لأن تسمعي ما سجل.»

اصرت بترا ان تسمع ما سجل فقالت: «كلا، اريد ان اسمع.» اتجهت نحو الجهاز وضغطت على زر التشغيل. حاول المتصل المجهول ان يتصل خمس مرات متتالية. عضت على شفتها وبدت مرتعبة.

قال ديفيد وقد بدا محبطاً: «اتصلي بشركة الاتصالات الآن.»

فقالت: «سوف اتأخر عن العمل، لكني سأقوم بذلك من المكتب. اعدك بذلك.»

www.liilas.com

اجابها: «اعرف انك ستفعلين. لما لا تأتين الى منزلي وتمضين الاسبوع القادم عندي؟»

كان الحل الأسهل والأبسط، اللجوء لحماية رجل، مهتم بحمايتها ورعايتها. اقتنعت بترا بالفكرة، لكن كلا، فسمسار البيوت سيزورها، ومعه الراغبون بالشراء. ولن تسمح لرجل مهما كان شأنه ان يرعبها ويخرجها من منزلها عن طريق الهاتف. ابتسمت للرجل الذي احبته كأخيها وقالت: «سأكون بخير أعدك.»

مع انه لم يعجب بقرارها، إلا أنه غادر، ومعه الوعد بأن تتصل به إذا اتصل ذاك الرجل مجددا. كان عليها ألا تشعر بالخوف في منزلها. لكنها تغلبت على خوفها، وقصدت مكان عملها في الوقت المحدد. على الأقل تخلصت من التفكير لماذا يريد كين ان يراها ثانية. لكنه لم يطل بها الوقت، حتى اتصل بها. حددت موعدا عند الغداء وأعدت نفسها لمواجهة الجدال العاصف بينهما. حاولت ان ترتب افكارها وتهدىء من توترها وتختار الكلمات التي ترد بها عليه.

كان بانتظارها خارج المطعم، يرتدي بذلة انيقة تناسب رجل الأعمال، ويقف بتراخ وثقة وسط العديد من الرجال المنتظرين. لكنه بدا فريدا في الرجولة والقوة والثقة بالنفس.

تبعها فيما كان النادل يقودهما الى طاولة ليجلسا اليها. لا ضير ان سقطت في اختبار ان تكون زوجة لهذا الرجل، رغم كل الصفات التي تتمتع بها، سقط هو الآخر في اختبار الزوجية، إذ فشل ان يكون زوجا صالحا لفتاة في عمرها، ان اتهامه لها بأنها تزوجته من أجل ماله، بينما كانت تعتقد إنه لا يملك شيئا، كان الأمر الذي لم تفهم له سببا.

كان جميع الزبائن يتناولون طعامهم بصمت ولا يتبادلون سوى القليل من الكلام.

قال: «تبدين متعبة.»

تشاغلت بالنظر الى قائمة الطعام.

قال مجددا: «هل ابقاك كاري لساعة متأخرة من ليل أمس؟»

قالت بصوت هادىء: «كلا. سآخذ السمك وبعض السلطة من فضلك.»

قال للنادل: «سمك، وسلطة.»

قال النادل: «اتحبان تناول شيء آخر؟»

نظر كين نحو بترا التي هزت رأسها نافية، وطلبت كوبا من المياه المعدنية.

عندما حضر كوب الماء اخذت تشربه لترطب جفاف فمها وحلقها.

قال كين: «هل انت وكاري حبيبان؟»

www.liilas.com

اجابت:«هذا ليس من شأنك على ما اعتقد.»
اومأ برأسه باستخفاف وقال:«هذا ما يبدو الأمر عليه.» ثم تابع بخبث:«سأدلك على طريقة تسددين فيها دين عمك لورنس... تتزوجيني ثانية.»

الفصل السابع

امتقع الدم من وجهها، واتسعت حدقتا عينيها، وحدقت به كأنها لا تصدق ما قاله. لا بد ان به مسا من الجنون. فيوم أمس أذلها وأهانها، وعيّرها بسلوك أمها، واليوم يريد ان يتزوجها مجددا؟ هل هو بكامل عقله أم أصابه مس من الجنون. لكنه يبدو كمن يعني ما يقول. للحظات داعبها الأمل، لكن حاولت كبته، فهي لم تنس بعد الإساءات التي لحقت بها على يديه.
قالت تستدرجه:«وماذا عن سيمون؟»
قطب جبينه وقال:«ماذا عنها؟»
«ماذا ستشعر حيال عرضك للزواج مني؟»
قال:«هل تسألين فيما إذا كانت حبيبتي؟ ليست حبيبتي، لقد تقابلنا في سان فرنسيسكو منذ شهرين، واستلطفنا بعضنا. لقد اتصلت بها، وتقابلنا مرة او مرتين. هذا ما جرت عليه الأمور. لكن حتى لو كانت حبيبتي، فهذا ليس من شأنك. لكن ليس في نيتي ان أكون زوجا غادرا غير مخلص.»
قالت بتصميم:«لكني لا اريد الزواج بك مجدداً.»
رد بسخرية:«هذه المرة لن يكون هناك احجية

www.liilas.com

مخفية. اعرف تماماً لماذا تزوجتني. لسداد دين عمك، وستقومين بتسديد الثمن حسبما أرغب وأشتهي. ولن يكون هناك أي اوهام.»

قالت بحدة:«كين لا تفعل.»

قال:«لا أفعل ماذا؟»

قالت:«لا تكن فظاً قاسياً هكذا. لا استطيع ان اتزوجك. لقد وضعت بيتي برسم البيع، وأنا احرر وصيتي، لأستطيع سداد القرض. ولن يكون هناك ضرورة...»

سألها مقاطعاً كلامها:«عما تتحدثين؟»

قالت:«اتحدث عن تجميع مال القرض.»

قال:«بيته مرهون ومثقل بالرهن.»

قالت:«هذا كل ما استطيع تدبيره، اعلم انه لا يكفي ولكن...»

عرفت الآن سبب قوته وسبب نجاحه في السوق، ولم تلق بالاً على ما قاله النادل.

قال معقباً على كلامها:«افهم الآن انك ستعلنين إفلاسك لإنقاذهما.» ثم اضاف:«إذا كان الزواج لا يناسبك، لنعقد اتفاقاً آخر. تبقين معي، طالما ارغب بذلك، وعندما أمل منك اطلق سراحك. وينتهي الإتفاق ويسقط الدين.»

احمر وجهها مجدداً لهذه الإهانة غير المقبولة، لكن لِمَ لا، طالما يعتقد انها سيئة، وقد امضت

السنوات الماضية تفكر فيما يعتقده عنها. لكنها قالت:«هذا ليس افضل عرض تلقيته، وجوابي عليه هو كلا.»

قال:«تريدين أزهاراً وقلوباً، ورومانسية. أسف يا أميرة. لقد نلت ذلك من قبل، ولن أكرره. ولا تقولي انك لا تريدينني، انا اعلم انك تريدينني انا اعلم بحالك، مثلما أنت عالمة بحالي.» ثم اضاف:«ما حدث بيننا منذ ثماني سنوات، لازال موجوداً. وحان الوقت لنسترجعه.»

انفجر كل حقدها وكرهها له فقالت:«ايها الحقير، الوقح. لست ملكك. إذا كنت تريد المال ستحصل عليه.»

قال:«القرار قرارك يا أميرة. لديك ثلاث خيارات، إما تصبحين زوجتي، او ان تبقي معي طالما ارغب بذلك، والى ان تنتهي من جمع المال الذي يدين لي به عمك او يفلس لورنس ستانهوب نهائياً.»

حدجته بنظرة نارية، لكنه انكب على طعامه يأكله بتلذذ غير متأثرة ببرودة فعلها الغاضبة. ثم نظر إليها مجدداً، فلم تر في عينيه أي دفء او عاطفة.

قالت:«لكن شركة ستانهوب هي كل حياته، ولا يستطيع العيش من دونها.»

قال:«كان عليه ان يحرص عليها ويرعاها ويحافظ عليها. منذ ان ورثها وهي تنحدر من سيء لأسوأ.

www.liilas.com

لقد استعملها كبقرة حلوب ليوفر حياة مرفهة لك ولعمتك، وكأن العالم مدين لكما. لقد كان دائما غير جدير بالمسؤولية، والآن دبّ فيه الكسل، والمصنع اوشك على الإفلاس ولا يستطيع تدبر أمره.»

يبدو ان لا حاجة هناك لطلب السماح، فليس لديه ذرة من العطف.

قالت:«سأفكر بالأمر.»

قال:«كلا. اريد جوابا الآن.»

تساءلت في نفسها: هل الكره هو ما يدفعه لذلك؟ ام عاطفة اخرى جعلته يتخلى عنها ببساطة. وعندما يتعلق الأمر بكين، تصبح الحبيبة المهجورة المطعونة في كرامتها وكبريائها، والتي وقعت في حبه من دون وعي ومن دون تبصر، لكن ما يقترحه ربما يقودها للسلام الذي تنشده. لم تكن بترا مغامرة في يوم من الأيام. والآن عليها ان تغامر، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالحب.

كان امامها تجارب والدتها المروعة لتحذرها من صعبة الإستسلام لأهوائها.اخيرا قالت:«حسنا، سأتزوجك إذن.»

بقي على هدوئه،ولم تتغير ملامح وجهه،فقال:«حسناً. سآخذك الى المنزل، لتحضري شهادة ميلادك. لأننا نحتاجها لأتمام الزواج. وعليك ان تأخذي إجازة لمدة أسبوع. وستتزوج الاسبوع القادم.»

هالها ما يقوله وقالت:«لكن ذلك الموعد قريب جدا.»

قال:«كلا. بل متأخر. لكن لا يمكننا فعل شيء حياله الآن.»

مكثت على شفتيها، ولم تدر ما عناه بكلامه. لكن ذلك اعطاها أملا جديدا. شربت ما تبقى من المياه في كوبها لاخفاء توترها وقالت:«لا ادري ان كنت قادرة على أخذ إجازة الاسبوع القادم.»

قال:«إذا قلت لهم ان الأمر هام جدا لن يرفضوا طلبك. قولي لهم انك في شهر عسل.» ثم تابع:«ربما تستطيعين ذلك. هل انهيت طعامك؟»

قالت:«نعم.»

يا للمصادفات العجيبة، ستصبح زوجة كين فليمتنع مجددا ورغما عن انفها.

قال:«سأقلك الى مكان عملك.» وفتح لها باب سيارته لتدخل.

بينما كانت تجلس في السيارة قالت:«كين لا اعتقد ان الزواج فكرة سديدة، الافضل ان اكون رفيقتك، إذا اردتني، سأكون رفيقتك.»

قال:«فات الأوان على ذلك. اتفقت على الزواج، وسيبقى الإتفاق على ما هو عليه، وأنا غيرت رأيي. لا اريدك كرفيقة.»

قالت:«لماذا؟»

www.liilas.com

قال:«لديك خياران الآن، الزواج او ترك عمك يغرق في ديونه.»
عضت على شفتها، وأجالت النظر في الشارع، وتأملت المطر الذي يتساقط بغزارة في الخارج، قالت:«لا خيار لديّ، إذن اتزوجك.»
قال:«نعم، عرفت انك ستقولين ذلك.»

* * *

صباح يوم السبت وعند الساعة العاشرة تم عقد الزواج في مكتب تسجيل عقود الزواج، ولم يكن معها سوى صديقتها القديمة وزوجها. لم يحضر اقارب كين ولا آل اندرسون. بعد ذلك تناولا الغداء في مطعم قريب، وبرفقتهما آل سمبسون.
قالت بيليندا وهي تضم بترا إليها مودعة:«لقد احببته.» وطبعت قبلة على خد كين ونظرت إليه محذرة ان يعتني ببترا.
نظر نحو بترا وأجاب:«سأعتني بها جيداً لا تقلقي.»
لم يعد المتطفل يتصل بها منذ الليلة التي امضتها مع ديفيد، لكن ماحصل وقرار كين المفاجيء بالعودة إليها، حرماها من النوم والاسترخاء كما في السابق.
كانت تشعر انها غامرت بكل ما لديها، وستدفع

الثمن ألماً وشقاء. ودعا آل سمبسون، ثم ذهبا الى منزله.
تساءلت فيما إذا كان سيقودها الى غرفته مباشرة. ام يمهلها بعض الوقت، ليصلا الى قرار فيما يخص اين سيقضون شهر العسل. لم يلمسها منذ ان تقدم بذلك العرض، ولم يحاول تقبيلها.
لم تعرف الجهة التي كان ينوي ان يأخذها إليها كل ماقاله انها تحتاج فقط لثيابها العادية التي ترتديها كل يوم.
سرت هازلة:«هل اتوقع ان احلب البقرات، وأقطع الحطب؟»
اجاب:«كلا. سأقطع انا الحطب إن لزم الأمر.»
لذا، ملأت حقيبتها بالثياب التي وجدتها مناسبة.
قال:«سأبدل ملابسي في الغرفة الإضافية.»
اومأت برأسها موافقة، وصعدت الى غرفتها، بدلت ملابسها، وعندما نزلت وجدته يتناول فنجان القهوة في المطبخ. ولاحظت إنه كان ينتظرها بفارغ الصبر. بدا متعبا ومتوترا بعض الشيء.
بدأ قلبها يخفق بعنف مجددا، وفقدت السيطرة على نفسها، ترقبا لما سيحدث لاحقا.
نظر إليها بإمعان وقال:«لقد حضرت القهوة، إشربي شيئا منها.»
قالت:«نعم.» لكنها ترددت، وبدت حائرة ومرتبكة.

www.liilas.com

قال:«لدينا مسافة اربع ساعات بالسيارة لنقطعها. وسيكون الظلام قد حل عندما نصل الى هناك.»
اومأت برأسها موافقة، وأمسكت فنجان القهوة وراحت تشرب. كانت القهوة قوية، لكنها بعثت النشاط فيها، وشربت القهوة كلها. بعد قليل، انطلقا بالسيارة شمالا نحو جسر الميناء.
جلست بترا في مقعدها، وراحت تتأمل المناظر وهي تتراءى ثم تختفي عن ناظريها.
كان كين يحب القيادة ويعتبرها جزءا منه. راحت تتأمل يديه، وهو يمسك بالمقود بقوة وثبات ومهارة. كان يبدو مرتاحا ومنتبها لما يعترضه، وردة فعله سريعة. انها تثق بقيادته، لكنها بدأت تشعر بالنعاس من رتابة الطريق وبدأت تغفو وتستيقظ بشكل متقطع الى ان نامت.
نظر اليها كين، ثم أطلق العنان لسيارته. عندما استيقظت، كان الظلام قد حل.
لاحظت انهما ابتعدا عن الطريق العام. وبدأت تظهر برك الماء، وتلمع عندما تيسقط عليه ضوء المصابيح الأمامية.
تشجعت وسألته:«اين نحن الآن؟»
قال:«شمال ميناء هوكيانغا. أبعد مكان يمكن ان تصلي إليه شمالا في نورث لاند.»
قالت:«وإلى أين نتجه؟»

قال:«الى باست هيركينو. لدي منزل هناك، على قطعة ارض أملكها.»
سألته:«وكم بقي علينا ان نسير؟»
اجاب:«بضعة كيلومترات اخرى.»
اخذت تردد في داخلها. إبقي هادئة وإلا سيدوسك بقدميه. فأدارت رأسها لتنظر الى الظلال التي تتراءى في الظلام. دخلت في مرحلة مابين اليقظة والنوم. ولم تعد تعني المناظر الريفية لها شيئا.
عندما استيقظت وجدت نفسها على سرير مزدوج وصوت المطر المتساقط في الخارج يطرق على السطح المعدني، وقد بدأ نور الصباح يتسطع من النوافذ.
نظرت الى نفسها، فرأت انها لا تزال في ثياب الأمس، ورجلا يرقد الى جانبها. ظلت ساكنة، وقد انبعث الدفء من كين النائم الى جانبها.
تساءلت:لماذا أصر على الزواج منها ثانية؟ مع انه كان بإمكانه الحصول عليها من دون زواج؟ ربما ليتمكن من السيطرة عليها؟
حاولت ان تحارب المخاوف التي انتابتها، وأخذت تسيطر على تنفسها ليصبح أكثر انتظاما، وقد صممت على قهر الخوف الذي ينتابها. خلال فترة زواجهما الأول، عواطفها الشفافة اعطته اليد العليا. لم يكن كين شرسا وخوفها منه ليس ماديا،

www.liilas.com

بقدر ما هو معنوي، لكن كان هذا في الماضي. فلو بقيت مسيطرة على نفسها سيقتنع انها تغيرت، ولم تعد تتأثر بجاذبيته. ولظهرت كامرأة راشدة تتحكم بعواطفها، ولا تستجيب لها.

تثاءبت، فقال:«اعلم انك قد استيقظت.»

قالت:«كم الوقت الآن؟»

قال:«انبزغ الصباح.»

لم يكن لديها ما تقوله سوى ان تتثاءب ثانية، لكن السؤال الذي كانت توم ان تسأله هو، ماذا تريد الآن؟

قال قاطعاً عليها تأملاتها:«هناك مايكفي من الماء الساخن، ان اردت الاستحمام.»

نبهت نفسها بصمت، إبقي هادئة، لا تعطيه فرصة او إشارة انك مضطربة. فهو يعرف كيف يستغل الضعف.

قال بعدما تأملها لبعض الوقت:«هل انت خائفة يا بترا؟»

اجابت:«لما أخاف؟»

قال:«هل يخيفك شيء، ويكسر القوقعة التي سجنت نفسك بها، لتبدين أكثر انوثة يازوجتي العزيزة؟»

قالت:«هذا ما انا عليه الآن. ما تراه هو ما ستحصل عليه.»

قال:«لا اصدقك.»

قالت:«لا أعلم ما تريد.»

«اريد ان ارى الفتاة البريئة التي جاءت إلي ذات يوم تضج بالشوق والحيوية، والعاطفة بين ذراعي، لدرجة انها باعت نفسها لقاء مليون دولار لتطفيء النار المتأججة داخلها.»

قالت بهدوء:«لم تعد موجودة يا كين.»

سألها:«اتعنين اني قتلتها؟»

قالت:«كلا، لكن اعتقد انك ربما استعدتها لو لم ترميني خارجاً، كما لو كنت قمامة. المرأة التي تزوجتها آنذاك كانت تتحرق شوقاً، وتتفجر عاطفة، لقد تصرفت على طبيعتها من دون زيف، لكن أين نحن الآن من كل ذلك؟»

قال:«فهمت، أهذا سبب اختفائك داخل مكعب من الثلج؟ لكنك لا تستطيعين إطفاء جذور بترا الفتاة اليافعة. كانت موجودة قبلاً، وأعتقد انها لازالت موجودة الآن.»

قالت:«اتساءل الآن، فيما إذا كانت موجودة اصلاً.»

اجاب:«كانت موجودة في السابق. وكان لديها الكثير لتمنحه، اكثر مما تمنحيه الآن، تنام مع الاصدقاء لتبعد المُلل عن نفسها.»

حاولت الرد والابتعاد، بل القفز من السرير، لكنه جذبها بعنف إليه قائلاً:«لن ادعك تهربين ثانية. ولو

www.liilas.com

لمرة يا بترا، حاولي ان تفهمي ما فعلته بنفسك.»
ردت بسخرية: «انقذني من نفسي إذن ايها المخلص. لكني احب ما أنا عليه يا كين. لا احتاج لإنقاذ ولا لمنقذ. استطيع ان اهتم بنفسي.»
قال: «وتقودين حياة عقيمة وعلاقات حب سخيفة. هل تنوين تتبع خطى والدتك؟ بعدم اختيارك للرجل المناسب؟»
شعرت بجرح عميق من إهانته إلا انها تمالكت اعصابها واستعادت رباطة جأشها وقالت: «لست مضطرة لتبرير تصرفاتي لك او شخصيتي.»
قال بفظاظة: «أي شخصية؟»
قالت بعنف وهي تحاول ان تفلت نفسها من قبضته: «إذا اعتقدت اني من دون شخصية، فالغريب، انك اصريت على الزواج مني ثانية.»
ظل للحظات يفكر بما قالته وهو ممسك بها، قال: «للحظة، عدت لطبيعتك. اتساءل كم سيستغرقني من الوقت لأهدم الأسوار التي بنيتها حول نفسك، ولتشعري انك مثل باقي الأفراد، ولا تعودي تنظرين نحو الآخرين بتعالٍ.»
قالت: «لا اشعر بأي...»
قاطعها قائلاً: «بلى تشعرين. هل تشعرين بالرضى من نفسك عندما تظنين انك حقا اميرة في قصرها، وتنظرين باحتقار الى من هم دونك؟ لقد حاولت

ايهامهم انك فوق تلك الحياة التي يقودونها، فوق عواطفهم، وفوق رغباتهم، وعندما يحاولون تجاوز حدودهم، تعيدينهم الى مكانهم الطبيعي. أليس كذلك؟ حتى إسمك يناسبك بترا، الحجر.
يصفونك بأنك الاميرة الحجرية، وهذا ما تحاولين ان تزرعيه في عقول الناس، بكفاءة وبهدوء، وببرودة اعصاب لا مثيل لها. ولهذا انت خائفة مني، لأني اعرف من هي بترا الحقيقية، بترا التي ذابت بين ذراعي...»
بدفعة قوية من يدها تحررت من قبضته ونهضت عن السرير، وقد صرّت على اسنانها لتمنعها من ان تصطك على بعضها.
إذا هذا كان هدفه من الزواج! يريد ان يراها ضعيفة مستسلمة، ذليلة، منقادة لعواطفها لتكون تحت رحمته، وفي قبضة يده، وفي كل مرة كانت تراه فيها، كان الهدف منه هو الانتقام. استدارت ومشت حتى وصلت الى غرفة الحمام.
لم يصلها أي صوت من غرفة النوم. ربما الآن يبتسم لأنه أذلها. تلفتت حولها ثم بدأت بغسل وجهها. شعرت ببرودة المياه على وجهها، جففت وجهها ونظفت أسنانها.
كانت تفكر كيف استعاد سيطرته على مجرى حياتها مجددا، وبعدم استطاعتها القيام بأي شيء

www.liilas.com

لتمنعه من ذلك والاستقلالية التي تغنت بها والتي تداعت سريعا، لقد اشعرها هجومه الوحشي بكل نقاط ضعفها.

قالت تحدث نفسها، هل مطلوب مني، لأجعل هذا الزواج حقيقيا ان اعود بترا الفتاة الثائرة العواطف، الملتهبة الأحاسيس التي تستجيب لأقل لمسة؟

كان يستلقي على السرير هادئاً وادعاً كحيوان اصطاد فريسة ويشعر بالراحة بعد ان بذل مجهودا ضخما. تاملها وهي تعود الى الغرفة.

قالت:«أهذا ما تريده من الزواج؟ ليكون زواجاً حقيقياً؟»

اخذ يتأملها بنظراته، وحاربت هي الضعف الذي بدأ ينتابها، حاولت التماسك قدر امكانها.

قال:«ربما لأرى إلى أي مدى سوف تسيرين لحماية عمك.»

قالت:«هل كان هذا هو السبب الحقيقي؟»

اجاب:«هذا ليس من شأنك.» ثم اضاف:«مع ذلك، لا اريد ان اقايض المال والحرية لأنعم بك، لقد تخطيت هذه المرحلة. ولأني لا اريد ذلك، عندما جئت إلي، كنت تريدينني، وليس لكي تنقذي عمك من ورطته.»

قالت:«لكن ماذا كان سيحدث له؟» وحاولت جهدها

ان تبقى متمالكة لنفسها. لأنها في اللحظة التي تفقد تماسكها، ستكون حيث اراد لها ان تكون تحت قدميه يدوسها متى يشاء.

قال:«لن افعل شيئا ضده.»

قالت:«وستنسى قصة القرض؟»

اومأ برأسه موافقا، وأضاف:«لكن اخشى ان مصير ستانهوب لن يكون كذلك، فقد تقرر مصيرها.»

مشت بعينيها عندما ادركت حقيقة ما يعنيه، قالت:«إذا انهارت المؤسسة سينهار معها العديد ممن يعملون فيها. وفي هذا الكساد الاقتصادي الذي يعم، لا اظنهم سيجدون عملا آخر.»

قال:«هذا مؤسف، لكن هكذا تسير الأمور. وهذا يعني ان أي أمل في استعادة السيطرة على الشركة قد تبخر.»

قالت:«هذا لا يهم، لم اتوقع اكثر من ذلك.»

قال:«إذن كنت تعلمين ان المؤسسة في خطر. متى عرفت هذا يا أميرة؟ عندما قال لك عمك انه يحتاج للقرض واقترح عليك ان تساعديه للحصول على المال مني؟»

جمعت قبضة يدها، لكنها لم تقل شيئاً، ونظرت إليه بنظرة جامدة متعالية، اخفت غضبها وغيظها وكرهها له.

www.alilas.com

قال:«هذا بالنسبة لإدعائك البراءة.» وحدق بها كما يحدق المفترس بالفريسة.

متى ادركت ان شركة ستانهوب في مأزق؟ صحيح عندما اعترف عمها بضرورة الحصول على القرض، وبذلك فقدت ثقتها بقدرة المؤسسة على إعادة احياء نفسها، عن طريق إمساك جيل ثالث بها ليعيدها لوضعها الطبيعي.

قالت:«احتاج الى بعض الثياب.»

اجاب:«انها في الدرجين العلويين.»

قالت بعدما عثرت على ما تريد من الثياب:«اذن جئت بي الى هنا لتكمل الانتقام.»

اجاب بابتسامة بدت حادة كطرف السكين:«ربما.»

قالت:«اكرهك،امقتك.»

نهض عن السرير، فتمسكت هي بالثياب وكأنما تحمي نفسها، وظهر جسده المتين الرياضي، وبشرته الملوحة بأشعة الشمس، قال:«انها بداية، على ما اعتقد.»

اطلقت بترا صرخة، وركضت الى الحمام لتختبىء فيه. سمعت صدى ضحكته تتردد في ارجاء المنزل الصغير. ارتدت ثيابها، وعقدت شعرها على شكل ذيل حصان، وراحت تتفرس بالجدران. لم تسمع سوى خفقان قلبها. كان كين متهورا

كفاية ليجعلها تدفع ثمن خطأ عمها، لكن بأي عملة كان يريد الدفع... إشارته لوالدتها، وإصراره على إبقاء زواجهما افلاطونيا، برهن انه منزعجا من مشاعرها التي استطاعت حتى الآن ان تبقيها تحت السيطرة. لكنها لم تحتمل الإذلال ثانية.

لمعت في رأسها فكرة اخرى غير مستحبة. هل كان يريد إظهار القسوة اكثر مما اعتقدت؟ هل كان يريد ان يجعلها تعتمد عليه عاطفيا، كما كانت خلال كل تلك السنوات التي مضت؟ هل اغاظته بسيطرتها على نفسها وتماسكها؟ ودفع الالم كتفيها للأمام، حاولت تنشق المزيد من الهواء وإدخاله الى رئتيها. لكن لا. حتى كيف يمكن ان يكون بهذه القسوة. اعتدلت في وقفتها وسارت متجاوزة غرفة النوم التي لم ترتب بعد. كانت هناك غرفة جلوس صغيرة ونظيفة، وفيها طاولة ومقاعد في احدى الزوايا، وحاجز خشبي يشكل جزءا من المطبخ.

لم يكن هناك. تنفست الصعداء وتابعت سيرها حتى النافذة، بجانب المدخل، كان هناك شرفة عند مدخل المنزل، واحدى الزوايا مملوءة بحطب الوقود وامتد فناء خلفي مليء بالشجر البري. وعلى احد الجانبين بدت حديقة فيها اشجار مثمرة، مسيجة بشريط صدىء.

www.liilas.com

لماذا اختار هذه البقعة المنعزلة؟ كان الموقد مطفأ، وان احتاجت لأي شيء ساخن لا بد ان توقد النار فيه. اشعلت النار في الموقد وملأت إبريق الشاي بالماء، ووضعته على النار. وبدأت تشغل نفسها ببعض الاعمال المنزلية لتبعد عنها الافكار الملحة. لقد كان كين قاسيا منذ اللحظة التي تعرفت عليه، لكنه كان مهذبا معها حتى آخر يوم من زواجهما. إلا انه تغير كليا الآن. لكن ما الذي يريده منها بالضبط. ان الاستسلام لمخاوفها وقلقها قد يزيد الأمور تعقيدا.

اطبقت شفتيها دلالة على العزيمة، اعدت المائدة ووضعت بعض طعام الفطور، وإبريق الحليب، وفنجانين. اخذت تحدق في الموقد. لا مجال لتحميص الخبز فيه. تساءلت لماذا اختار مكانا لا يوجد فيه كهرباء. تفقدت محتويات الخزائن، وغلب عليها التفكير، بينما كانت ترى الكميات الكبيرة من الاطعمة، معظمها اطعمة اساسية، ومعلبة ومحفوظة. يبدو انه كان يأتي الى هنا كثيرا. كم من مرة جاء الى نيوزيلندا، خلال السنوات الثمانية المنصرمة؟

سكبت الماء المغلي في ابريق القهوة العصري، عندما سمعت خطوات كين على الشرفة، انقبضت معدتها، لكنها وضعت قطعة من الزبدة في المقلاة

استعداداً لوضع اللحم. بينما انشغل هو بنزع ملابسه الواقية من المطر على الشرفة.

عندما فتح الباب ودخل المطبخ، تنشقت رائحة المطر والنباتات التي نمت حديثا، قال دون مقدمات:«كنت أفكر.»

www.liilas.com
غداري

الفصل الثامن

قالت:«نعم.»
تردد قليلاً ثم قال:«لم نحاول ان نتعرف على بعضنا البعض بصورة فعلية، أليس كذلك؟ او تكلمنا مع بعضنا قبل الزواج. لكن حقيقة اننا كنا نريد بعضنا طغت على الاشياء الاخرى، وجعلت ما قلناه يبدو تافها وملتويا. وبعدما تزوجنا لم نتبادل الحديث بالامور الاساسية. لكننا نضجنا الآن وأصبحنا اكثر حكمة وتعقلا. صحيح اننا لم نعد نحب بعضنا الان...»
قاطعته معترضة:«هذا إذا كنا نحب بعضنا.»
حدق فيها وتغيرت تعابير وجهه.
هزت بترا كتفيها وأضافت:«غريب امر هذا الحب الذي لايعرف الثقة.»
توقف للحظات ثم قال:«هناك شيء ما يحترق.»
عبقت رائحة الزبدة في انفها، فاستدارت، وأمسكت بالمقلاة الحارة لتبعدها عن النار، فأحرقت اصابعها.
على الفور تقدم نحوها وفتح الماء الباردة على يديها بحركة سريعة، الى ان خف الالم.
قالت:«لابأس، إن الحرق خفيف.»
تتبع آثار الاحمرار على يدها وذراعها.

قالت:«سأتذكر ان استعمل قوطة المطبخ عندما امسك بشيء حار.»
اومأ برأسه موافقا، وجفف يدها وذراعها.
ابتعدت عنه واستدارت لتلتقط المقلاة، اخذت تمسحها بقطعة من الورق لتضع الزبدة مجددا.
شعرت بنظراته وكأنها تحرق ظهرها وتخترقه بعنف، لكنها تشاغلت بوضع اللحم فوق الزبدة وتحريكه.
قال كين:«ما كنت سأقوله قبل لحظات، هو ان زواجنا يجب ان ينجح هذه المرة. وان نتعلم ان نفهم بعضنا. وأوافق على تأجيل كل حقوقي الزوجية الى ان نصل لهذا التفاهم.»
شيء ما في داخلها كان يتوقع غير ما قاله. يبدو انه يغلب صوت العقل على العاطفة وهذا ما لم تتوقعه منه. كان الموقف لصالح كبريائها وكرامتها المطعونة. انها مثل والدتها كانت تتوق لتشعر بعاطفته، لم يكن بإمكانها ان تغير من طبيعتها.
قالت بصوت جاف:«نعم، يبدو هذا جيد.»
وضع يده على كتفها وأدارها لتواجهه، فرأت ومضة شريرة في عينيه. وقال:«لكن لا تراهني ان هذا سيطول. لا أتمتع بقوى خارقة.» وسحب عقدة شعرها لينسدل على رقبتها وكتفيها معلقا:«احب شعرك هكذا.»

www.liilas.com

ابتعدت وتشاغلت بتقليب اللحم في المقلاة. منذ البداية اعتقدت ان كين هو نفسه الذي داسها منذ ثماني سنوات. لكنه لم يكن كذلك.ربما لم تر فيه سوى الشاب المسيطر الذي يحيطها بعاطفته، كين الذي يستعمل وسامته وجاذبيته ويخضعها لعقله. لكن كين الحقيقي لم تتعرف عليه ابدا. وهذا ما كان يحاول ان يقوله لها. لقد ارتكبت كل انواع الاخطاء وكونت عنه العديد من الافكار الخاطئة، وآمنت بها بما يشبه اليقين.

لقد انتظرت ثماني سنوات رجلاً لا وجود له، وأرهقت نفسها خلال هذه الفترة لتكون المرأة التي يريدها. امرأة هادئة، باردة تتحكم في عواطفها. وقد اتضح ان كل هذا لا جدوى منه. يريدها ان تكون فتاة ساذجة مفعمة بالعاطفة على طبيعتها. لم يكن يحبها. يريدها فقط لإرضاء رغباته، وبعد ذلك لتذهب في حال سبيلها، لا رابط ولا علاقة ولا حب.

قال وقد اتسم وجهه بالحزن والألم:«ما الذي يجول في خاطرك؟»

اجابت وقد سيطرت على اعصابها:«اتساءل لماذا أصريت على الزواج مني ثانية؟»

قال:«بالتأكيد، لا ابحث عن عائلة، ولااريد ان استغل براءتك وصغر سنك، فقد ولى زمن ذلك.

لن اقول انني قطعت نصف العالم لأنك تآمرت مع عمك لورنس.» ثم اضاف:«ربما رددت هذا الأمر مرارا يا بترا، لم يعد الامر يهم. يبدو انك لست سعيدة بزواجي منك ثانية. ولم يعد يجمعنا الحب القديم. لكن اريد اطفالا، نعم اريدك ان تنجبي لي اطفالا اصحاء. ألا تريدين اطفالا؟هذه المرة كلانا يعرف ما يريده، ولماذا؟»

همست:«يا لك من نذل.»

قال:«يبدو هذا جميلا يا اميرة. لا ارى مانعاً من ان يكون زواجنا ناجحا. لقد تعلمت بضعة أمور، منذ ثماني سنوات، لم تكوني ملمة بشؤون الطهي، والآن تتثقلمين مع موقد على الحطب.»

قالت:«الطهي لا يتطلب الكثير من الذكاء. فقد كنت قائدة في فرقة الكشافة وأعرف الكثير عن هذه الأمور. وما الصعوبة في تحضير البيض واللحم؟»

قال:«قد تتفاجئين مدى صعوبة طهي البيض واللحم.»

عند تناول الطعام اكتفت بتناول قطعة خبز محمصة واحتساء فنجان قهوة. قامت لتسكب القهوة مجددا، فطلب كين منها ان تسكب فنجانا له. كانت لا تزال تتذكر انه يحب قهوته سوداء قوية من دون سكر. تساءلت لماذا الامور الصغيرة

www.liilas.com

تبقى في الذاكرة بينما الاشياء الكبيرة تزول؟ حاولت خنق ذكريات اخرى جالت بخيالها، كتقبيله لها، وضمها. اهتز ابريق القهوة في يدها، فحاولت السيطرة على اعصابها وقدمت له الفنجان ووضعته أمامه، تراجعت الى الخلف وجلست متهالكة على الكرسي. حاولت عبثاً تحاشي نظراته الفاحصة المدققة.

قال:«شيء واحد علّمته لك عمتك وأوافق عليه، وهو كيف تخدمين زوجك على الطريقة القديمة.»

اجابت:«من المؤسف ان احداً لم يعلمك ان وراء كل حق تطالب به، هناك التزام من جانبك يجب ان تؤديه.»

قال:«ليس واجباً نسائياً ياأميرة.»

سألته:«وهل التمسك بالأنوثة يقنعك؟»

قال:«كلا، مع اني لا اخالف ما ذهبت إليه. لكني اعارض الإعتقاد ان الاطفال لا يحتاجون لأمهاتهم كثيراً، على اعتبار ان حاجاتهم المادية قد توفرت.»

رفعت حاجبيها دهشة وقالت:«لا أذكر اني قرأت ذلك في أي كتاب.»

قال:«وماذا تقولين في العبارة التي تقول:النساء يحق لهن ترك اطفالهن بعهدة مربيات، بينما يلاحقن اعمالهن؟»

اجابت:«اقول ان معظم النساء بحاجة الى العمل في هذه الأيام، كي يحصلن على مستوى لائق من العيش الكريم.»

قال:«أنت تضخمين الأمور، وتعلمين ذلك، اقنعيني بوجهة نظرك.»

كانت متعاطفة مع وجهة نظره، ربما امضت طفولتها بحاجة لرعاية والدتها الملتهية بشؤونها الخاصة، لكن كان عليها ان تجادل بالعقل والمنطق. أزكى النقاش قريحتها وذكاءها، لقد خاضت نقاشا مشابها عندما حصلت على درجتها الجامعية. لكن هذا كله نقاشاً من نوع مختلف. ومرة اخرى وجدت نفسها بمواجهة ذكاء كين فليمنغ، وهو الاكثر ذكاءً بين كل الذين عرفتهم في حياتها. إذا كان هذا ما يريده ويعنيه، فلسوف تكون سعيدة بالتعاون معه، ولإطفاء النار التي كانت تشتعل داخلها، استمتعت بالنقاش اكثر من أي شيء آخر.

* * *

لاحقاً وهي ترتب السرير، فكرت كيف ستمضي باقي الأيام، في كيفية تفادي هذه المشاعر التي يفرضها وجودها في منزل واحد مع كين، فلا مفر من البقاء داخل المنزل، مع هذا المطر الغزير

www.liilas.com

الذي يمنعها من الخروج لتتوه في التلال القريبة.
استلقت على السرير وغرقت في افكارها. كان المنزل عبارة عن كوخ بكل ما للكلمة من معنى، والسرير هو الشيء الوحيد الذي يعبر عن الفخامة والترف.
شعرت برجفة تسري في جسدها، وهي تتخيل اللحظة التي يطلب فيها كين حقه... ولا مفر عاجلاً أم آجلاً من هذه اللحظة، سوف تضطر للإستسلام.
سمعت صوته قادماً فنهضت عن السرير، ثم فتحت الأدراج ولاحظت انه قد رتب كل ثيابها بعناية.
دخل الغرفة ورآها وهي تمسك بقميص نومها.
قال بطريقة ساخرة:«لقد وضعت في الدرج أجمل من هذا بكثير.»
قالت:«هذا الاكثر بعثاً للراحة لي.»
رد بنفس الطريقة:«طبعاً يا أميرة. لا بأس. استطيع التحكم بتصرفاتي حتى لو ارتديت اكثر القمصان اغواءً، مما وضعته في الحقيبة التي افرغتها الليلة الماضية.»
قالت وقد اصرت على اسنانها غضباً وحقداً:«انا متأكدة انك فعلت ذلك.»
قال:«الامر نفسه ينطبق عليك يا أميرة.»
قالت:«لا تناديني بالأميرة، فلست أميرة.»

قال:«ولم لا؟ هذا ما انت عليه أميرة الحجارة. تمضين ايامك جوفاء فارغة بعلاقة سخيفة مع كاري وتخشين ان تخرجي من خلف قناع التبرج، والثياب، والتزمت الاخلاقي، لأنك تبقين عواطفك تحت السيطرة، وأنت لست كذلك. العواطف شيء محير، أليس كذلك؟ لا تعرفين ما سيؤدي إليه الأمر لو اطلقتها على سجيتها والأسلم هو سجنها، وإخفائها، وإقناع نفسك بأن هذا هو الافضل، وبأنك لا تحتاجينها. لقد تعبت عمتك في تربيتك يا بترا. وقد تعبت في ذلك، لأنك لست هكذا. وكنت ارضا صالحة لهذا الزرع الذي زرعته فيك.
شعرت بترا بالإهانة لكل كلمة تفوه بها وارتعدت في داخلها. وبالرغم من تصلب عنقها، لكنها ابقت رأسها مرفوعاً وقالت:«اذا كنت باردة لهذا الحد فلماذا اجبرتني على الزواج منك ثانية؟ اعلم انك على علاقة بعدة نساء، فلماذا لم تتزوج أياً منهن؟»
ابتسم وانحنى ليقبلها، لكنها ابعدت رأسها، لكنه اعادها بقوة إليه. كان العذاب ان تبقى متماسكة، وتحارب خطوته المذلة. لكنها قاومت لأن الاستسلام سيجلب لها ذلاً وتعاسة أكبر.
قال:«لم اجبرك على الزواج بي. كان هناك خيار، وكان اختيارك الزواج، على الرغم من انك لم تكون

www.liilas.com

صادقة معي منذ ثماني سنوات، عندما قلت انك احببتني، وبالرغم من اغوائك لي لتنفيذ مصالح عملك في ذلك الوقت، وحتى نهار الامس، لا زلت اريدك.»

حاولت الكلام فوضع اصابعه على شفتيها لاسكاتها. ثم تابع: «لكن عندما استسلمت لم يكن لدفع الدين ولا لكسب الرهان، بل لأنك لا تستطيعين مساعدة نفسك. وهذا ما تدينين لي به. انت جبانة يا أميرة، تختبئين خلف الاقنعة والاسوار التي وضعتها بنفسك. ولسوف احطمها. هذا ما يخيفك، أليس كذلك؟ حقيقة ان باستطاعتي ان اجعلك تنسين كل ما علمته لك عمتك. كل التصرفات اللائقة، والمثل العليا والاشياء المعقولة والمقبولة. عندما تتركين نفسك على سجيتها وتعترفين ان هناك قانون الرجل والمرأة، عندها يبدأ زواجنا في ان يصبح حقيقيا. أما الآن فضعي معطفك الواقي من المطر عليك، سنذهب في نزهة.»

لم تكن المقاومة تجدي نفعاً، فارتدت المعطف وخرجت معه، ولم يغب عن فكرها انه في كل حركة كان يقوم بها كانت من اجل ان يشعرها بالمهانة. استقلا السيارة في نزهتهما في المرحلة الاولى، بعد ذلك اخذا يهبطا التلة. لم تدر الى اين توصل تلك الطريق. لكنها لم تسمع صوت سيارات قادمة في

الاتجاهين. ثم تركا السيارة وتوجها سيراً على الاقدام، صعودا نحو التلة.

لم يتحدث أي منهما بأي كلمة. كانت الأرض مهملة، ومغطاة بالحشائش البرية والاشجار.

طارت فوقهما حمامة بيضاء، وتلتها اخرى. تأملت بترا ما حولها باندهاش وانبهار. كانت المناظر الطبيعة اكثر من رائعة. وفي الاسفل ظهر ميناء صغير، بعدة منافذ، لكن لا أثر للحياة فيه ولا لعمار: لا قوارب ولا حيوانات في المراعي المعشوشبة. لا بد ان هذا هو الشاطىء الغربي لنورث لاند. لأن الشاطىء الشرقي لا يوجد فيه حواجز حديدية.

قالت: «يبدو المكان ناء جداً.»

«نعم. ولا يوجد منزل هنا.»

قالت بترا: «قد يداخلك العجب إذا ما حاول احد ان يستخدم هذه الأرض للزراعة.»

قال: «منذ ثلاثين سنة كان كل شخص يتصور ان أي ارض يمكن ان تكون صالحة للزراعة. ولا أدري كم من الاشخاص فشلوا وخسروا وهم يحاولون ذلك.

سألت: «هل هي لك؟»

رفع حاجبيه ثم قال: «نعم هي لي. كانت اول شيء اشتريته عندما بدأت اجمع المال.»

www.liilas.com

قالت:«اشتريته كملاذ، تأتي إليه احياناً.»
اجاب:«نعم، مكان اقصده لأرتاح. ولا بد ان ذلك بسبب اني تربيت في مزرعة، وأحب رؤية الالوان الخضراء من حولي، مكان لا أرى فيه الا الطبيعة فقط.»
قالت وقد عرفت شيئاً من اسراره:«معظم أهالي نيوزيلندا يذهبون الى الشاطىء. اين تذهب في اميركا عندما تشعر بالحاجة لتكون بمفردك؟»
قال:«هناك جبال عالية شامخة عظيمة، لكن إذا توافر الوقت آتي الى هنا.»
إذن كان يأتي الى هنا دون ان تعلم بذلك، ودون ان تشك بذلك. لكن ماذا كان بوسعها ان تفعل لو عرفت؟ فسألته:«كيف حال عائلتك؟»
رفع كتفيه وقال:«عائلتي بخير. شقيقي امتلك مزرعته الخاصة في تيوا موتو، وشقيقتاي تزوجتا.»
سألته:«وماذا عن آل اندرسون؟»
اجاب:«انا متفاجىء انك تذكرتهما!»
انها تتذكر كل شيء قاله، لكنها لن تخبره بذلك.
وتابع:«لقد توفي كلاهما.»
قالت:«آسفة.»
قال:«لا تأسفي. لقد عاشا حياة رائعة. لقد عوضت لهما كل قرش صرفاه علي، وكنت حريصا ألا اجعلهما يحتاجان أي شيء.»

قالت:«أكانا يريدان ان تعوضهما على ما صرفاه عليك؟»
اجاب:«نعم. الجميع كان يريد التعويض، ياعني أهلي لال سمبسون، لكنهما أرادا المزيد عندما عرفا اني أبلي بلاء حسنا وأكسب مالا كثيرا، فاشتريت لهما مزرعة، واشتريت لشقيقي مزرعة، وأودعت المزيد من المال بإسمهما، وأعطيت شقيقتي مبلغا مماثل لكل منهما.»
قالت بترا:«هل ترى أيا منهم؟»
حرك كتفيه وقال:«فقط عندما يريدون اقتراض المزيد من المال لكن هذه هي الحياة أليس كذلك؟»
ثم اضاف:«لهذا السبب تزوجتني كذلك.»
عرفت الآن لماذا تصرف بوحشية عندما اعتقد انها باعت نفسها مقابل قرض المليون دولار. اخذت نفسا عميقا، وأدركت إن تصرفه في مثل هذه الظروف كان طبيعيا! أولا رفضته عائلته، ثم اساؤوا استغلال علاقتهم به، لكن ليس استغلالا، فهو اقوى من ان يدع احداً يستغله. لكنه تقبل تصرفاتهم بترفع واحتقار دل كم كان يفكر بهم. لكن خلف هذه السوداوية والتشاؤم ربما كان يتألم. وزاد ألمه، عندما وجد ان آل اندرسون فاسدون في استغلالهم له. ولا عجب ان ظن الاسوأ، وربما لهذا السبب لم يتقبل انها تزوجته لأنها احبته وليس

www.liilas.com

لأي شيء آخر. وربما يكون قد اعطى القرض الى عمها بنفس الاسلوب الذي يعطي المال لأهله. قالت لنفسها، اوه يا عمي لورنس، لو كنت تعلم ما تفعل فكرت في اقتراض المال منه!

قالت:«عندما توفيت والدتي منذ عامين، ذهبت لاحضر جنازتها. لم استطع ان ابكي، ولم يكن احد من الحاضرين يذرف الدموع. بدا الأمر فظيعا ان يموت الانسان ولا يجد من يحزن عليه او يبكيه.»

سألها:«وكيف كانت؟»

نظرت نحو البعيد وقالت:«لم تكن متزنة، كانت بحاجة للحب، لكنها كانت تفرض شروطا قاسية على محبيها، وما كان احد منهم قادرا على إرضائها. لا ادري ان كانت تعلم ما تريده. كانت مصابة بإدمان الحب، وفي النهاية أدى ذلك الى موتها.»

تذكرت شريط حياة أمها الحافل، من الفرح والحزن، الدموع، ونوبات الغضب واللطف والضعف. سرت رجفة في جسمها.

كان كين يراقبها عن كثب. فسألها:«ما الأمر؟»

قالت وكأنها كانت تخاطب نفسها:«كانت مثل هذه المياه، تضرب الشاطىء وتحطم نفسها ولا تقوى إلا على ذلك، تحطم نفسها على صخور حاجاتها

وأخطائها. كانت سيئة السمعة، ومادة دسمة لمن يحبون الخوض في الحديث عن الناس سيئي السمعة. وعرفت ذلك منذ كنت طفلة. كانت تقوم باقتعال اعمال مشينة من دون ان تهتم للمكان او الزمان او ماذا يقول الناس عنها. لكنها كانت تعيسة بشكل مأساوي ولم ادرك ذلك الا عندما كبرت.

قال:«من الغريب كيف كانت تجذب المعجبين.»

قالت بتردد:«كانت جميلة جدا. حتى آخر صورة لها وهي مريضة في الفراش. كانت حلم كل رجل. ولم تكن غبية، بل ذكية وسريعة البديهة ولطيفة المعشر، يأسر من يسمعه لكن كل هذه المواهب لم تستغل في أمر مفيد.

قال كين:«إذن، كان هناك شيء جيد كذلك؟»

قالت:«أوه نعم. لقد اخذتني ذات يوم الى المتحف، فشاهدت السيراميك والمفروشات وأخبرتني عن الناس الذين يصنعون هذه الاشياء، لكن لم نعد الى هناك ثانية.»

سألها:«وكيف انتهيت عند آل ستانهوب؟»

اجابت:«ارادت والدتي ان تنتقل الى موريا مع حبيب لها، ولم يكن يريدني، فقالت لي، انني سأمضي عطلة مع بعض اقاربي، وتركتني عندهم.» تلاشت ابتسامتها، ثم اضافت:«كنت طفلة مريعة، عنيدة،

www.liilas.com

صعبة المراس، لم اكن منضبطة، لكن عمتي كايث استطاعت ترويضي وتعليمي كل ما هو جيد ولائق، وأبعدتني تماما عن بيئة والدتي المقيتة. وعندما عادت والدتي لتسترجعني رفضت عمتي كايث ان تعيدني إليها. وكان هناك دعوى في المحكمة. قال والدي انه يريدني ان ابقى مع عمتي كايث، وأعطاها القاضي الحق في رعايتي، وهكذا بقيت عندهم. لقد استغرق الأمر بعض الوقت، لكن جهودها اثمرت في النهاية، وصنعت مني العجائب.»

قال:«حقا! وكيف كان ذلك؟»

اجابت بترا:«كانت تحبني، وكانت كل شيء لم تكنه أمي، رفيقة، محبة، دائما بالجوار لتساعدني، وكانت لطيفة جدا معي. اخذت طفلة فوضوية وقحة وجعلت منها فتاة متعلمة ومهذبة.»

قال:«ألم تنجب اولادا من لورنس؟»

قالت:«كلا.»

قال:«كنت إذن الولد الذي لم تنجبه عمتك كايث، الفتاة التي تخيلتها، او نسخة مطورة منها. جعلتك طفلتها.»

«ربما لكنها اعطتني اكثر مما اخذت مني.» كانت تدافع عن عمتها وعمها لأنهما يعنيا لها الكثير.

حين عادا الى المنزل، كان أول ما فعلته هو

الاستحمام، فقد ارهقتها الرحلة الطويلة وتأملت وجهها، وشعرت بالغيرة من سيمون لما تملكه من جمال مقارنة معها. من المحزن انها كانت تريد كين، بكل كيانها.

انهت حمامها ولفت نفسها بمنشفة كبيرة، هي تفكر. فهمت لماذا كان يجذبها كما يجذب المغنطيس قطعة الحديد. كانت معجبة به شكلا ومضمونا. خلال السنوات الماضية، اقنعت نفسها انها معجبة بوسامته فقط. لكن النقاش الذي دار بينهما جعلها تعجب بفكره المتوقد، وسرعة بديهته الحاضرة دوما. عرفت الآن سبب سخطه على أهله الذين اعتبروه كبضاعة تصلح للبيع فباعوه لقاء منافع مادية. كان جشع أهله واضح ومتوقع، لكن عندما طالب آل اندرسون برد جميلهم، شعر بالجرح يحز في صدره.

كين تزوجها لينتقم وليس لأي غرض آخر. وعليها ان تتحمل قسوة تصرفاته. السنوات علمتها ان تتأقلم مع كل الظروف مهما بلغت صعوبة الوضع، وان تخفي عواطفها تحت ستار سميك. لكن المسألة مسألة بقاء وإستمرار وليس مجرد اخفاء للعواطف.

ارتدت ثيابها، وعادت الى غرفة الجلوس، ورمت في الموقد المزيد من قطع الحطب طلبا للدفء.

www.liilas.com

وقفت امام النافذة، ثم خرجت الى الشرفة تتأمل ما حولها. كل شيء كان يشع باللون الاخضر. انتعلت حذاءها وسارت في الحديقة بين الاشجار والزهور.

سمعت صوتاً، فكرت فيما يمكن ان يكون كين يفعله. رأته يقطع الاخشاب بقوة ومهارة ويكومها الى جانبه فاستدارت عائدة الى المنزل.

حاولت إبعاد صورة كين بالنظر الى الزهور من دون جدوى. وضعت الزهور التي قطفتها في اناء الزهور ووضعته وسط الطاولة. مما اضفى عليها مظهرا جذاباً. دفعت بالمزيد من الحطب في الموقد. اعدت شراباً بارداً، وباشرت باعداد الطعام، لم تنس ان تعد الحمام، فهو بالتأكيد سوف يحتاج الى الاستحمام عندما يعود.

كم هو سهل العودة لأيام الاجداد والآباء. كين يجمع الحطب وهي تعد الطعام على موقد الخشب استعداداً لمجيء الزوج.

سمعت صوت دحرجة قطع الحطب في الخارج، فعلمت ان كين جاء بكومة منها. عندما دخل تظاهرت بمراقبة الطعام الذي فرغت من إعداده.

قال:«يبدو الطعام الذي اعددته شهيا من رائحته.»

قالت:«سيكون جاهزاً بعد عشرين دقيقة.»

قال:«حسناً، سوف استحم في هذا الوقت.»

ومضى في طريقه الى غرفة النوم، ومن ثم سمعت صوت باب الحمام يغلق.

وضعت الملعقة الخشبية جانباً، وتوقفت يداها عن الارتجاف. قالت لنفسها، يجب عليها ان تسيطر على اعصابها، ولا تعطيه تلك الفرحة برؤيتها تنهار. ومن اجل بقائها واستمرارها، عليها ان تظهر له انها متماسكة.

عندما عاد اثنى على طريقتها بالطبخ وقال:«سأعد انا طعام العشاء.»

سألته:«وهل تستطيع ذلك؟»

قال:«طبعا. انا طاهي ماهر، وقد تدربت على ذلك.»

نظر الى صحنها وتابع:«لم تتناولي شيئاً من الطعام. ألست جائعة؟»

قالت:«انا لا آكل كثيراً.»

قال:«هراء. هيا تناولي طعامك. انت نحيفة جداً، يجب ان تكتسبي بعض الوزن الزائد.»

قالت:«ولم لا تقول هزيلة؟»

أجاب:«اعتقد انك تقسين على نفسك. فأنا أفضل ان تكون امرأتي نحيفة، لكن ليس بهذا الشكل. هيا تناولي طعامك.»

قالت:«ولكني لست جائعة.»

www.liilas.com

قال:«بلى انت جائعة، إما ان تتناولي الطعام، او اجعلك تتناولينه رغماً عنك يا أميرة.»
اطاعته لكن ببطء وبنظرة تعال واضحة، وقالت:«حسناً، لكن اجد ذلك صعباً وأنت تحدق بي وتراقب كل حركة.»
قال:«إذن ساعد الشاي، والافضل ان تتناولي كل ما في الطبق.» ونهض من مكانه ليحضر الشاي.
بعد الانتهاء من احتساء الشاي، قال:«تعالي والعبي معي الشطرنج، ولنتسلى اننا نكره بعضنا.»
قالت بعد تردد:«حسناً.»

الفصل التاسع

ربح كين في الشطرنج، لكنه خسر في لعبة السكرابل، وأحرزت فوزاً ساحقاً عليه. عندما انتهت اللعبة راحت تتصفح بعض المجلات القديمة، فهي افضل من لا شيء، وجدت في إحداها لعبة الكلمات المتقاطعة، بدأت على حلها بينما انشغل هو بتحضير العشاء.
كان العشاء لذيذاً وشهياً كما وعدها. بعد قليل تثاءب، وقال:«حان وقت النوم.» ثم اضاف:«لديك الأولوية في دخول الحمام.»
نهضت من مكانها وتوجهت نحو غرفة الحمام وارتدت ثياب النوم التي اظهرت عن جمال قامتها. لم تتعمد ان تظهر بهذا الوضع. خرجت الى غرفة النوم وتمددت في السرير، اغمضت عينيها قليلاً ثم فتحتهما لتجده قد اطفأ النور واندس الى جانبها. بقيت يقظة لردع أي محاولة من جانبه.
قال:«عمت مساءً يا اميرة.» واستدار مبتعداً عنها.
تقلبت كثيراً في الفراش قبل ان تستسلم للنوم، وحلمت برؤيا جميلة، فقد حلمت بكين وهو يضمها. استيقظت عند الصباح، وجدت نفسها ملتصقة بكين، وهو يضمها. ابتعدت عنه وقد آلمها ذلك

www.liilas.com

الوضع، لكنه سخر منها واعترف لها انها كانت بين احضانه به طوال الليل.

كيف حصل ذلك؟ لا تدري. فقد ترك لها الأمر لتعلم ما الذي حدث.

كان يسمع صوت الامطار والعواصف خارجاً تشتد مع الوقت، بعد قليل اقتلعت العواصف قطعة معدنية من سقف الحمام. هرعا هي وكين لتفقد الاضرار، وعمدا الى تثبيت القطعة في مكانها. عادت الى غرفة النوم فيما كان ينتابها صراع ما بين الاختيار بين قلبها او عقلها وبين كرامتها التي يصر كين على ان يدوسها في كل لحظة. قررت الهرب والعودة الى منزلها. لذا، وفيما كان لا يزال في الحمام، اخذت مفتاح السيارة وانسلت خارجا. أدارت محرك السيارة، وسارت ببطء، ثم اسرعت عائدة باتجاه المدينة. لكن في الطريق الموحل، انزلقت السيارة وصدمت بشجرة ثم توقفت نهائيا عن السير.

ظلت في مكانها الى ان جاء كين وأيقظها من إغمائها بعدما صدمت رأسها بالزجاج الأمامي. بدا غاضبا جدا، لمحاولتها الهرب بهذه الطريقة سمعته يقول: «هل انت بخير؟»

اومأت برأسها بالايجاب. بالرغم من غضبه الجنوني راح يعتني ببعض الجروح والخدوش التي

اصابتها في وجهها وجيبنها وقال: «ايتها الغبية. هل تأذيت في أي مكان آخر؟ كتفك، ظهرك، او قدميك؟» وهو يمر يده ليطمئن على حالها.

قالت: «كلا. انه رأسي فقط. لم يكن الأمر سيئا. فلم افقد الوعي تماما.»

لفها بمعطفه جيدا، ثم اخرجها من السيارة وقال: «لا استطيع إخراج السيارة، احتاج لجرار لإخراجها، سنعود سيرا على الاقدام، هل باستطاعتك السير؟»

اجابت: «نعم، بالطبع.»

لكنه حملها وسار بها.

احتجت قائلة: «لكني استطيع السير.»

وصل الى المنزل اوقفها وقال لها: «ادخلي الحمام.»

هزت رأسها نافية وقالت: «انت تحتاج الى الحمام اكثر مني. فقد تبللت ثيابك بالمياه، وتشعر بالبرد.»

قال: «اتريدين ان ادخلك بالقوة؟»

قالت: «كلا.»

قال: «إذن ادخلي واستحمي.»

كان من غير المجدي التجادل معه.

انتظرها لبعض الوقت وحين شعر انها قد تأخرت، طرق على الباب يستعجلها وطلب منها ارتداء ثيابها والخروج، لأن الطبيب ينتظرها في الخارج ليعاينها.

رفضت رؤية الطبيب لكنه هددها بإخراجها بالقوة

www.liilas.com

ان مانعت، عندها رضخت لمطالبه وخرجت.
عاينها الطبيب ووجد ان حالتها لا تدعو للقلق، إلا ان هناك ورما خفيفا على جبينها.
طلب كين من الطبيب ان تؤخذ لها صورة شعاعية لرأسها للتأكد من سلامته وان لا كسر او شرخ في العظام.
وصلت طوافة، نقلتهما الى اوكلاند. بدا كين بأوج قوته وقوة المؤسسة التي يعمل بها. كان الجميع يتحرك بإشارة منه. بعد خضوعها للفحوصات والصور والاطمئنان على سلامتها، عاد مجددا وبالطوافة نفسها الى المنزل.
في اليوم التالي جرت مصارحة طويلة بينهما ومن ضمنها سيرة من حياة والدتها، ومن حياتها، وكيف حاولت عمتها كايث حمايتها من تأثيرات والدتها ومن نفسها بالتشديد في الرقابة عليها وتلقينها مبادىء الاخلاق الفاضلة... ومن خلال تلك المصارحة، تمت المصالحة، وتبدد الخوف الذي كانت تشعر به تجاهه، وتبين ان الخوف من نفسها ومن احاسيسها اكثر مما هو من شخصه.

الفصل العاشر

على الرغم من استسلامها له الليلة الماضية، إلا انها لم تسمع منه كلمة يقول فيها انه يحبها. وهذا ما جعلها تتناسى كل ما قام به من اجلها خلال اليومين الماضيين، ابتداءً من الركض خلفها عندما حاولت الهرب، لعلاجها من الصدمة، لبقائه قربها طوال الوقت يتعهدها بالعناية والرعاية، كما لو كانت طفلته وليست زوجته. كل ذرة فيها تنطق بحبه. لو يحبها فعلا لصدقها عندما اخبرته ان عمها لورنس قد مات، لكنه لم يصدقها. هذه الرغبة المتوحشة المجنونة كل ما حصلت عليه منه حتى تاريخه. ومهما كانت الرغبة قوية فهي لا تكفي. لانها تريد اكثر من ذلك. كانت زوجته، ومن المفترض ان يكون مخلصا لها.
بدا الامر يشبه طعم الرماد في فمها. من الآن فصاعدا كل ما عليه ان يفعله هو ان يؤشر بإصبعه فتأتيه طائعة. قال لها عندما حاولت الهروب والتسلل: «إذا فكرت في الهروب ثانية سأضعك حتى لو اضطرني الأمر لتقييدك.» يبدو انه لم يتعلم درسه جيدا. فقد كانت كلمة احبك اقوى من كل السلاسل التي سيقيدها بها.

www.liilas.com

قالت:«كلا لن اهرب مجدداً.»
قال:«ما الأمر إذن؟»
قالت:«لا شيء.»
سألها:«كيف حال رأسك؟»
قالت:«لا بأس.»
بعد مرور ليلة هادئة وعاطفية، استفاقت بترا ولم يكن كين الى جانبها. فيما بعد اتصل بها وأخبرها انه سيتغيب لبعضة أيام من اجل عمل هام. لكنه سيعود في اسرع وقت وطلب منها ان تفكر فيه قليلا. ترى هل هو في نيوزيلندا، أم عاد الى أميركا. لكن في اعماقها كانت تدرك انه لم يضعها في خانة واحدة مع والدتها. بدأ يميل إليها، ومن يدري ربما يحبها في نهاية الأمر. لكن ما كانت تشعر به هو الحب والإعجاب والاحترام، والتفاني.
صباح يوم السبت قرأت في الصحيفة مقالاً عن مؤسسة ستانهوب، وان رجل الاعمال المليادير كين فليمنغ قد تسلم إدارتها. وسوف تعرف تجديدا في إدارتها ونهضة في أدائها. ما اشعرها بالارتياح وأعاد إحياء الأمل في نفسها.
بعد مرور ثلاثة أيام، زارها ديفيد كاري، ودعاها للعشاء في احد المطاعم. وأثناء العشاء قالت له انها لن تستطيع رؤيته بعد الآن.
قال:«بسبب فليمنغ؟»

اجابت:«نعم.»
قال ديفيد:«لن اقول اني متفاجيء. لا بأس، ان اسأل أي سؤال. لكن احب ان اعتقد اننا سنبقى اصدقاء وسأكون الى جانبك إذا ما احتجتني.»
عندما عادا للمنزل سألها ديفيد:«لمن سيارة الـ بي أم دبليو هذه؟» وبالتأكيد عرف الجواب حين رأى كين يخرج منها. أسرع الى سيارة ديفيد وفتح الباب وجذبها للخارج.
قال ديفيد محتجا:«ماذا تفعل...»
قالت:«لا تشتمني يا كين انت تؤلمني. من فضلك.»
نظر نحو ديفيد وقال وهو يصر على اسنانه:«إرحل من هنا بسرعة.»
نظر ديفيد نحو بترا التي قالت:«كين!»
قال كين:«إذهب الى منزلك، ولا تعد الى هنا.»
قال ديفيد:«سأذهب ان طلبت بترا مني ذلك، وليس قبل ذلك.»
قال كين:«اغرب عن وجهي.»
قالت بترا بسرعة:«ديفيد من فضلك، عد الى المنزل. الأمر لا يعنيك.»
قال ديفيد:«يجب على الرجل ان يحرص على الا تتأذى امرأة.»
اجاب كين:«الاذى سيلحق بك أيها الغبي وليس بها. وليس لدي الصبر الكافي بشأنك. فقط لأخبرك

www.liilas.com

اننا متزوجان ويجب ان تبتعد نهائياً عن طريقها.»
اغمضت بترا عينيها وتنهدت.
نظر ديفيد:«حسنا، سوف ارحل. ولكن قبل ذلك اريد ان اوضح لك يا كين بأننا، انا وبترا، صديقان فقط ولسنا حبيبين.»
اجابه كين بنبرة باردة:«لا يهمني ذلك. بل ما يهمني هو ان تعرف انها غير متوفرة لك بعد الآن. ولا تحاول رؤيتها مجددا.»
جرها من يدها وأدخلها المنزل.

www.liilas.com

* * *

تلك الليلة تمت المصارحة التامة بين كين وبترا واستعادا كل احداث وذكريات الماضي، وأزالا الرواسب العالقة بالنفوس وسوء الفهم، وتجددت الثقة بينهما.
وفي تلك الليلة، اعترف كين لبترا بحبه الذي بدأ منذ ليلة لقائهما على الجسر تحت ضوء القمر، ولم يتوقف عن حبها، مع انه حاول جهده تناسيها. كما اعترف لها انه فكر في قتلها وقتل عمها وعمتها، وقتل ما اعتقد انه حبيبها ديفيد كاري. لكن كان يعود عن قراره في آخر لحظة.

تمت